
الشيخ منصور الرفاعى عبيد
الدعاة
والتنمية
اجتماعية
Bibliotheca Alexandrina
0124317
مكتبة الدار العربية للكتاب



الدعاة والتنمية الاجتماعية

الناشر : **مكتبة الدار العربية للكتاب**
٢٤ شارع الدكتور حسن إبراهيم متفرع من
مكرم عبيد - ص . ب ٧٥٨٤
الحى الثامن - مدينة نصر - القاهرة.
تليفون وفاكس: ٢٧٤١٧٢١
رقم الإيداع: ٩٧/٥٨٢١
الترقيم الدولى: 0 - 008 - 293 - 977
تجهيزات فنية : ار - تك
العنوان: ٤ ش بنى كعب - متفرع من ش السودان
تليفون : ٣١٤٣٦٣٢
طبع: **آمون**
العنوان: ٤ عطفة فيروز - متفرع من إسماعيل أباظة
تليفون: ٣٥٤٤٣٥٦ - ٣٥٤٤٥١٧

الطبعة الأولى: محرم ١٤١٨ هـ - مايو ١٩٩٧م

الشيخ منصور الرفاعى عبيد

الدعاة والتنمية الاجتماعية

الناشر
مكتبة الدار العربية للكتاب



بسم الله الرحمن الرحيم

يقول الله تبارك وتعالى :

﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾[1].

ويقول :

﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[2].

ويقول :

﴿ لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[3].

ويقول :

﴿ وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ۝٣٤ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾[4].

---

(١) البقرة: ٨٣.

(٢) النحل. ١٢٥ .

(٣) النساء: الآية ١١٤ .

(٤) فصلت: ٣٤ ، ٣٥.

ويقول :

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾[1].

ويقول رسول الله ﷺ:

«نَضَّرَ الله امْرأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعاهَا»[2].

ويقول :

«انَّ الملائِكَةَ لَتضعُ أجنِحَتَهَا لِطالِبِ العِلْمِ رِضًا بِمَا يَصْنَعُ»[3].

ويقول :

«عُلَمَاءُ أُمَّتِي كَأَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرائِيلَ»[4].

«صدق رسول الله ﷺ»

---

(١) يوسف: ١٠٨

(٢) كشف الخفا جـ ٢ ص ٤٤١.

(٣) الترغيب والترهيب جـ١ صـ٥٢..

(٤) كشف الخفا صـ٨٣ وقال عنه الأسيوطى: لا أصل له.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وأنزل عليه القرآن وأمره أن يبلغه للناس أجمعين.

وبعــــد. . . .

فإن الإسلام دعوة عالمية؛ لأن النبى محمداً ﷺ خاتم الأنبياء، وكتاب الله «القرآن» آخر كتب السماء. وهذه الدعوة وَحَّدَتْ بين أتباعها، وآخت بين معتنقيها، فكل مسلم هو أخى وأخوك فى الله، وإن تباعدت بيننا الديار، وحالت دون اللقاء الحواجز التى وضعها الاستعمار الذى مزق الأمة إلى أمم، ومزق الدولة إلى دول، حيث إن الحق - سبحانه - وَحَّدَ جَمْعَنا، وجَمَعَ شملنا، وقال لنبيه: ﴿وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ * وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ﴾ فما صنعه الله لا يغيره البشر. وكل مكان يقال فيه «لا إله إلا الله، محمد رسول الله» هى أرض أرْتَبِطُ بها، وأغَارُ على حُرْمَتِها، وأدافع عنها، وأبذل جهدى لنشر العلم فى ربوعها، متمثلا قول الله ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾. وصلة الرحم التى بينى وبين الناس جميعًا تأتى من قِبَلِ أمنا «حواء» حيث تؤصل بيننا المودة والأخوة والألفة على بعد المسافات وقربها. ثم إن الإسلام نَسَبٌ يربط الناس الذين آمنوا به برباط الأخوة، وهذا أكبر عامل للألفة حيث صاح الشاعر قديما.

أبِى الإسلام لا أبَ لى سِوَاهُ ... إذا افْتَخَرُوا بِقَيْسٍ أو تَمِيمِ

وتأسيسًا على ذلك فإن العلم رَحِمٌ بين أهله، يدعم بينهم العلاقات، ويؤلف بين قلوبهم بالحق، ويوجههم إلى الحق.

وإذا كان ميدان الدعوة إلى الله من أشرف الميادين، والذين يدعون إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، ويتحلون بالرفق والصبر هم من أحسن الناس عند الله وفى دنيا الناس؛ لأن ركبهم يحف به الجلال والبهاء، نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم، وذئاب الهوى تخشى أن تقترب من ساحتهم ؛ لأن الإيمان بالله أيقظ ضمائرهم، فهم يقولون بالحق، ويوفون بالعهد، ويجيرون من استجار بهم حتى يسمع كلام الله، وشعارهم (تَعَالَوْاْ إلى كَلَمَةَ سواء بيننا وبينكم أَلاَّ نَعْبُدَ إلاَّ الله ولا نُشْرِك به شيئًا، ولا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بعضًا أربابًا من دون الله).

لقد رأيت من واجبى أن أضع بين يديك ما سوف تطالعه، وأنا أوصيك بالتروى والتأنى حتى تفرغ من قراءته؛ لأن الدين النصيحة، والمؤمن مِرآة أخيه.

وأقول لك ما قاله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ للناس من حوله: «رَحِمَ الله امرأً أهْدَى إلىَّ عيوبى» فاقرأ واعلم أنك صاحب رسالة، كما أنك جندىٌ تعمل فى أشرف ميدان، لأنك على ثغر من ثغور الإسلام.

وأسأل الله لى ولكم التوفيق، وأن يهيئ لنا من أمرنا رشدا.

منصور الرفاعى عبيد

وكيل وزارة الأوقاف للدعوة

الدعاة وميراث النبوة

أيها الأخ الداعية . . . مرحبا بك وأنت تنضم إلى ركب الدعاة الذين يدعون إلى الله على بصيرة . . . مرحبًا بك جنديًا من جنود الإسلام، مرحبًا بك وأنت على ثغرة من ثغور الإسلام، فاحذر أن يُؤْتَ الإسلام من قِبَلِكَ . . مرحبا بك وأنت تحرص على إحياء سنة رسول الله ﷺ عندما كان فى دار الأرقم بن أبى الأرقم أو على جبل الصفا، ثم فى المسجد النبوى، ثم بمنهجه الذى ورثناه عنه، صلوات الله وسلامه عليه . . مرحبا بك وارثًا لميراث النبوة؛ لأنهم ـ أى الأنبياء ـ لم يورثوا دينارًا ولا درهما، وإنما وَرَّثُوا علمًا وأخلاقًا، ويكفيك فخرا وشرفا ما توجك به رسول الله ﷺ فى قوله «العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهما وإنما وَرَّثُوا العلم، فمن أخذه أخَذَ بِحَظٍّ وافر»(١).

لقد ورثك رسول الله ﷺ سيرة عطرة، وأخلاقا طيبة وقدوة حسنة، وقرآنًا يتلى على مر الدهور والأزمان . .

أيها الأخ الكريم، إن رسالتك عظيمة، ودورك خطير؛ لأنك تعلِّم الخير للناس، وترشدهم على أساس من منهج الإسلام، وتوجيه الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ إلى تصحيح المفاهيم، وتحاول بقولك وعملك أن تنهض بالمجتمع لتقيه من العادات السيئة، وتغرس فى نفوس رواد مسجدك ومحبيك القيم الدينية والعادات الحميدة، والعمل على تنمية المجتمع، والنهوض

---

(١) كشف الخفا جـ ٢ صـ ٣٨ مكتبة التراث.

بمرافقه، والحفاظ على المال العام، وقد اختارك الله ـ عز وجل ـ لهذه المهمة السامية، فحاول بقدر جهدك وطاقتك وما يمليه عليك ضميرك وتحتمه عليك مهمتك ـ أن تسهم فى رُقِيِّ المجتمع، وأن تكون قدوة صالحة فى قولك وعملك، مخلصًا لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم . . . وأن تكون عند حسن الظن بك جُنْدِيًّا مخلصًا فى الدعوة إلى الله وإمامة المسلمين وتقديم الموعظة الحسنة لهم.

اعلمْ ـ أيها الأخ الكريم والزميل الفاضل ـ أن رسالة الداعية يحبها كل الناس، ويتمنى كل شخص فاضل أن يكون من رجالها؛ لشرفها وعُلو قدر المنتسبين إليها، ومن هنا كان من دعاء الصالحين الذى حكاه الله ـ سبحانه ـ فى كتابه العزيز على لسانهم قولهم: ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[1].

كما أن إبراهيم عليه السلام ـ وهو شيخ الأنبياء والمرسلين ـ قد طلب من الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يجعل الإمامة فى ذريته من بعده، وذلك لشرفها وفضلها وطهارة مسلكها، فاستجاب الله دعاءَهُ، وقال مبينا ذلك: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[2].

إن شرف الإمامة لا يناله إلا المخلصون الصادقون؛ لأن الظلم

---

(١) سورة الفرقان ـ. من الآية ٧٤.

(٢) سورة البقرة ـ الآية ١٢٤.

حائل بين الإنسان وبين المنازل الرفيعة التى أعدها الله للصادقين من عباده، والظالم لنفسه لا ينهض بمسئوليته، ولا يصلح لقدوة ولا قيادة، ولا يصبر على تحصيل العلم، ولا يقوى على هداية غيره، وقديمًا قيل: فاقد الشىء لا يُعْطيه، والشاعر يقول:

لا يَحْمِلُ الحِقْدَ مَنْ تَعْلُو بِهِ الرُّتَبُ

ولا يَنَالُ العُلاَ مَنْ طَبْعُهُ الغَضَبُ.

أيها الإمام، نضر الله وجهك؛ لأنك تنقل من فمك إلى مسامع الناس كلام الله، وهَدْىَ نبيه وسيرة الهُدَاة الراشدين، وترسخ فى أعماق الناس حُب الله وحب الصالحين، وتنمى فيهم روح الولاء للخالق ،والانتماء للوطن، والارتقاء به، والنهوض بالصناعة، وإتقان العمل، وحب الناس؛ لأن الإنسان لايؤمن إلا إذا أحب لأخيه ما يحب لنفسه؛ لذلك فالغش حرام، والسرقة حرام، وتجريح الناس حرام، وترويج الإشاعات حرام.

ثم تحث الناس على المحافظة على المال العام، حتى ولو كان مليما، فالمسلم أمين صادق، يحب جيرانه ويعاونهم، ويساعد الأيتام، ويخرج الزكاة، ويتصدق بكل ما فى وسعه وقدرته، وهكذا ـ أيها الأمام ـ يتبين أن رسالتك عظيمة، وأن مهنتك رفيعة القدر؛ لذلك رفع الله قدرك وأعلى شأنك فقال ـ سبحانه ـ: ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾[1].

وإذا كان هذا شأنك فحافظ على مستواك الأدبى والعلمى والمظهرى:

(١) سورة المجادلة – من الآية ١١.

١ ـ كن قدوة صالحة فى سلوكك.

٢ ـ لا تفعل أى شىء يخالف قولك.

٣ ـ لا تَنْهَ عن خُلُقٍ وتأتى مِثْلَهُ عار عليك إذا فَعَلْتَ ـ عظيم.

٤ ـ قابل الناس بوجه حسن باش باسم؛ فابتسامتك فى وجه أخيك صدقة.

٥ ـ اخْفِ آلامك عن الناس، وكن كما قيل:

ولا تُرِيَنَّ النَّاسَ إلا تَجَمُّلاً   نَبَا بك دهر من أوْجَفَاكَ خَلِيلُ

والمقصود من ذلك أن الناس يبوحون لك بمشاكلهم، ويستودعونك أسرارهم، فإن رأوك مُتْعبًا ابتعدوا عنك، والمطلوب منك أن تقربهم إليك.

٦ ـ لا تفتح أذنك لكل الكلام؛ فإن الحق ـ سبحانه ـ جعل لك أذنين تسمع بهما، فاسمع الجميل واختزنه، وأخرج الكلام الذى فيه إساءة إلى الغير من الأذن الثانية، ولا تعاتب على كل صغيرة، فكن أنت أكبر من التوافه، وأقول لك ما قاله أحد المربين.

يا عُلَمَاء الأمة يا مِلْحَ البَلَد

من يُصلح الملحَ إذا الملح فَسَدْ

٧ ـ طَهِرْ يَدَكَ ونَظِّفْ لسانك...

كن جميل المظهر والمخبر،

وتأمل فى قول القائل:

ومهما تَكُنْ عِنْدَ امرِئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ
ـ وإنْ خَالَها تُخفى عَلَى النَّاس ـ تُعْلَمِ

٨ ـ كن يقظ الضمير، مرهف الحس، جياش العاطفة، قَدِّم الخَيْرَ لِمَنْ تَعْرِفُ ومن لا تعرف، كن حليماً، ،واسع الصدر، صبورا، وتَأمل قول الله: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾(١).

٩ ـ لا تقصر فى أداء الواجبات الاجتماعية ـ وأكثر من القراءة، وردد: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾(٢).

---

(١) سورة آل عمران – من الآية ١٥٩.

(٢) سورة طه – من الآية ١١٤.

الأئمة الدعاة

الدعاة إلى الله هم من أخلص العناصر لأمتهم، ومن قادة الإصلاح فى مجتمعهم، وهم ثروة عظيمة يجب على الأمة أن تعمل على رعايتها وتنميتها؛ لأن صوتهم من على المنبر له تأثير قوى جدا فى المجتمع، ذلك لأنهم يقولون بالحق وإليه يدعون.

وعماد دعوتهم القرآن الكريم. . الذى إذا تليت آياته على آذان الناس حركت مشاعرهم، وهزت وجدانهم، ونفذت عباراته إلى القلوب، واستجاب الناس لها.

والأمة الناجحة هى التى تحرص على تربية الدعاة، وتدفع بهم إلى الآفاق؛ ليكونوا صوت خير يهدى الحيارى إلى سواء السبيل، كما أنهم مشاعل ضوء تنير الطريق لمن أراد الوصول إلى الصراط المستقيم. ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾[1].

إن دعاة الإسلام هم الأساس فى نجاح خطط الدعوة؛ لأنهم الدعامة الرئيسية لها، يؤمنون برسالتهم، ويتفهمون طبيعة عملهم، وعندهم معرفة بلغة الحوار والنقاش؛ لذا فهم كوادر متميزة فى المهارة والذكاء والفهم، وعليهم أن يكونوا فى مستوى المسئولية؛ لأن كلمتهم لها خطورتها، ثم هم يقدرون الوقت وقيمته، فلا

(١) سورة الشورى - الآية ٥٢.

يضيعونه فى لعب؛ لأنه رصيد الفرد فى بنك القدر، ويقرءون بعين ناقدة، ويسمعون بأذن واعية، ويشاهدون بفكر نافذ، وتأسيساً على ذلك فإن الداعية يركز على نقطتين:

١ ـ أن يعرف كيف يوجه رسالته بما يملكه من قوة الفكر والبيان؛ ليستطيع أن يؤثر فى عقول المستمعين.

٢ ـ أن يعرف ماذا يريد، وما هو الهدف من الموضوع الذى يطرح على الجماهير.

ولنا فى رسول الله ﷺ أسوة حسنة، الذى يقول عنه عبدالله ابن مسعود: «كان رسول الله ﷺ يَتَخَوَّلُنَا بالمَوْعظَة مَخَافَة السآمة علينا»[١].

والإمام الداعية صاحب رسالة يؤمن بأهدافها، ويسعى بكل قدراته لتوصيل تلك الأهداف إلى من لا يؤمن بها، وبإيمانه بتلك الأهداف يستطيع أن يعبر بمستمعيه حاجز الجهل الذى يفصل بينهما، ويؤصل فكره فى أعماقهم بقوة يقينه، وبالهدف الذى يعمل على تحقيقه.

والداعية شخص يعيش للمبدأ الذى يؤمن به، فهو يتفرغ لدعوته، كل وقته مشغول بها. . يحمل لواء الدعوة بالفكرة التى ترسخت فى أعماقه، يجعلها حلم منامه، وهتاف يقظته، والدافع

---

(١) رواه البخارى ـ كتاب العلم .

لحركته، يبيت يحرسها، إنْ أكَلَّ فلكى يتقوى على السير للتبشير بها، وإن استراح فلكى ينهض ليواصل السير فى سبيلها.

والإمام الداعية شخص يعيش مشاكل أمته، ويتابع كل فكرة تناهض دعوته ،يحاول بكل طاقته أن يتابع كل جديد فى دائرة تخصصه، لا يفصل فكره عن المجتمع،ولا يعزل نفسه عن الأحداث، ولا ينطوى على فكر معين؛ لأنه لا يليق به أن يتحدث إلى قوم حديثا ينبئ عن قصور فكره وعدم فهمه له.

وإذا كان الحق ـ سبحانه وتعالى ـ قد شرفك بهذا العمل وحملك مسئوليته ـ وجعلك للناس إماما ـ فجدير بك أن تكون أهلا لهذه المسئولية، وأن تعد نفسك لهذا إعداداً طيباً بالإخلاص والقدوة الحسنة والعناية بكتاب الله حفظاً وتجويداً وتفسيراً، وبسنة رسول الله ﷺ وسيرته الشريفة فَهْمًا واستيعاباً، وكذلك سيرة الخلفاء الراشدين وبطولاتهم وتضحياتهم فى سبيل الله، وأن تجعل نُصب عينيك ـ مع ما قدمناه لك ـ الفقه الإسلامى درساً وتمحيصاً، وأن تكون على صلة دائمة بالتاريخ وأحوال الأمم؛ لتقف على أسباب قيام الحضارات وعوامل الضعف والانهيار، وأن تتابع كل جديد ومفيد مما تستدعيه دعوتك، وأن تكون حكيماً فى عطائك، جاعلاً نصب عينيك المبدأ الربانى الكريم ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[1] . ففيه ركائز الدعوة كلها.

---

(١) سورة النحل – من الآية ١٢٥.

والمساجد بيوت الله فى الأرض أذِنَ أن تُرفع ويُذكر فيها اسمه، ولا يُدْعَى فيها لأحد سوى الله، وللمساجد منزلة كبيرة فى الإسلام؛ لأن المسجد هو مصدر التوجيه الصحيح فى شتى مناحى الحياة الروحية والمادية، وفى كل خير نافع فى الدنيا والآخرة، لأنها المؤسسة الدينية والثقافية والاجتماعية والإعلامية. ولقد عنى الإسلام بالمسجد من أول يوم، فطالب بإسباغ المهابة والجلال عليه، وصيانته من كل شىء يشوه جماله، فأمر بتطهيره وتنظيفه وتجنيبه أى شىء يحط من مهابته، كالجدل والهراء ورفع الصوت وغير ذلك مما يذهب بوقاره ويشوش على رواده من الركع السجود.

أيها الأخ الداعية، إن المسجد فى الوقت الحاضر يحتاج إلى زيادة الاهتمام؛ ليكون مركز إشعاع، وليعود إلى وضعه الطبيعى؛ لأن المسجد رافد من روافد الحرم الشريف، لقد كان الحرم - ومازال - مركز إشعاع بالخير على الدنيا بأَسْرِهَا، ولقد كان فى العهد الأول للإسلام معهدٌ يشع بالنور فى نشر العلم والمعرفة، ألا وهو دار الأرقم بن أبى الأرقم، وعلى غرار ذلك كان فى مصر الأزهر الذى يدين له العالم الإسلامى بالتقدير والإعزاز؛ لأنه حافظ على التراث الدينى والثقافى عن طريق مسجده المعمور.

من أجل ذلك - ياأخى - نضع أمام عينيك قاعدة يقول بها علماء التربية: إن الإنسان يتعلم إذا أراد مع وجود الدافع الذاتى، رغبة فى التعلم والمسجد عطاؤه دينى وثقافى واجتماعى وتربوى والهدف محو الأمية فى الإنسان.. محو الأمية الدينية ومحو

الأمية الاجتماعية . . وكلمة الأمية نعنى بها عدم قدرة الفرد على مسايرة التطور الاجتماعى والثقافى؛ ذلك لأن علماء التربية يعرفونها بقولهم إحداث النمو فى شخصية المتعلم من جميع نواحيها بقصد جعل المواطن صالحا؛ لأن التربية هى وسيلة لكسب العلم والثقافة لإرهاف القوى العقلية وصقلها ،وإنمائها، ويعنون بذلك مزج الفكر بالعمل، فكلاهما متمم للآخر، ونعنى بالعلم ما يتصل بتجارب المتعلم وأغراضه الحيوية؛ ليصبح قوة فعالة؛ إذ لا فائدة من تعليم لا توجد له وظيفة فى الحياة.

وذلك لكى يحافظ الفرد على ذاته ،ويتمكن من كسب القوت اليومى، ويهيئ لنفسه قدرة القيام بمهام الحياة الثقافية والاجتماعية والسياسية، ويعمل على بناء الجنس والنوع، ولن يتأتى ذلك إلا إذا تزود الفرد بما يمكنه من الاطلاع على التراث الثقافى للجنس البشرى، من علوم دينية أو أدبية أو فنية أو زراعية أو طبية.

إننا نستطيع أن نقول: إن الأمية هى التخلف عن مواكبة سير ركب الحضارة العصرية، والجهل بالتراث القومى من تاريخ وتقدم علمى أو مهنى، مما يجعل المواطن يعيش فى عزلة نفسيه لا تمكنه من تقدير دور السلف فى إرساء دعائم التقدم العمرانى والفكرى، ويترتب على ذلك عدم انتمائه الوطنى أو ارتباطه بالإنسانية.

إننا نعيش فى فترة تَخَلَّفَ فيها البعض عن فهم الدين ومراميه وأغراضه؛ لأن الدين ـ يا أخى ـ يهيمن على كافة شئون الحياة، ويقود الناس ـ بالحب والتعاون والتسامح والصفاء والإحسان

ونشر العدل وتحقيق كل غرض نبيل يكون من ورائه سعادة الإنسانية بأسرها - إلى الرقىٍّ والتقدم والسعادة والرفاهية، ولن يتأتى ذلك إلا من خلال العقيدة التى تؤسس على معرفة الله وما يجب له، وكذلك معرفة الأنبياء، والهدف من دعوتهم، وما نزل عليهم من كتب، وأن يكون هناك تنبيه إلى أسباب مراحل إرسال الرسل، حيث كانت الإنسانية تتدرج فى مجال التقدم العقلى، فلما اكتمل نموها،واستوى عودها بعث إليها النبى العربى الخاتم العالمى سيدنا محمد، الذى جاء بقرآن حوى أصول الدعوات السابقة وزاد عليها بما فيه رقى الإنسانية وسعادتها؛ لأنه يدعو إلى حسن العلاقة بالله، وأساسها العبادات، وما يترتب عليها من طهارة نفس وسلامة صدر، ونقاء الوجدان، ويقظة الضمير، ومراقبة لله دائمة؛ لأنه موجود مع الإنسان أينما كان، وبجانب ذلك لابد من حسن العلاقة بالناس من خلال المعاملات التى يتعامل بها الفرد فى كسب معاشه وسلوكه وحياته اليومية، فالدين المعاملة، ،وعلى الإنسان أن يتقن عمله، ويجود صنعته، ويؤدى واجبه ولا يتهرب من المسئولية، وأن يأخذ ما له ويدفع ما عليه بصدق وأمانة.

فالإسلام - إذن - دعوة إلى السلوك الاجتماعى الحَسَن، كما أنه دعوة لحسن العلاقة بالله، المؤسسة على سلامة القلب، ويقظة الضمير، وحسن التعامل مع الناس. وإذا كان المجتمع الآن يطالب بمحو الأمية وتعليم الكبار فإننا نقول له: ليس هناك من مكان أدَّى هذا الدور بجدارة إلا المسجد؛ لأن فيه يرتفع

الإمام بعقلية الجماهير ثقافياً ومهنيًا واجتماعيًا؛ لأن القرآن يطالب بفهم الكون وما فيه من آيات بينات وعبَر وعظات، فلك أن تتأمل فى الأرض التى جعلها الله مسرحا للناس، وفيها قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يُسْقَى بماء واحد، والزرع واحد، والأرض واحدة، ومع ذلك اختلف حجم الثمرة أو لونها أو طعمها، وهناك شجر لا ثمر له، وإنما يتخذ لصناعة الشبابيك والأبواب والمكاتب والأرائك. وهذا الكون الذى هو كتاب مفتوح الإمام يشرحه للجماهير، يبين لهم أن الذى فعل كل ذلك ويفعل هو الله الذى فى السماء عرشه، وعلى الأرض سلطانه، وهو معكم أينما كنتم؛ لأنه ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿ويَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾[1]. كل ذلك يؤدى إلى زيادة المعرفة العقلية، مع كسب العلم المؤسس على المعرفة والاستنباط.

---

(١) الأنعام: ٥٩.

زاد الداعية

إن القرآن هو زادك الأصيل أيها الداعية، وإذا كان الله قد قال لحبيبه ومصطفاه أن يقول للناس جميعاً الذين يعيشون على قارات الأرض: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾(١). فقد جعلك الله ـ يا أخي ـ من الذين ورثوا هذا العلم، فاجعل زادك هو القرآن، واعلم أن الناس يأتون إليك بدافع دين ورغبة في المعرفة؛ لأن كل واحد يريد أن يتعلم الحلال والحرام، وأن يعدل من سلوكه؛ ليتفق مع توجيهات القرآن؛ والناس يعرفون أن طلب العلم على كل مسلم ومسلمة، ومن رحمة الله بنا أن القرآن نزل مُنَجَّمًا فريضة على رسول الله ﷺ لأسباب أهمها: تثبيت قلب النبي ﷺ، وتسهيل حفظه، وليتمكن الصحابة من حفظه كذلك، ونقرأ في هذا قول الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾(٢). وقوله كذلك: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً﴾(٣).

وإذا كان القرآن نزل منجماً في ثلاث وعشرين سنة بحسب الوقائع والحوادث وما يحتاج إليه المجتمع من الأحكام فإن ذلك أدعى لك لتأخذ جمهورك برفق، وتقودهم بلين، وتدعوهم

---

(١) الأنعام: ١٩

(٢) الفرقان: ٣٢

(٣) الإسراء: ١٠٦.

بالحكمة ولا تستعجل عليهم، فأمامك ـ يا أخى ـ شخصيات لم تدخل المدرسة، أو متسربون من التعليم، أو متخرجون من مراحل متوسطة أو عالية، أو غير ذلك. . . كذلك أمامك أصحاب مهن وحرف مختلفة منهم النجار، والسباك، والمزارع، والعامل، والتاجر. . كذلك أمامك أصحاب القلوب الطيبة وغير ذلك من الذكور أو الإناث. وهناك من يمارس عمل الحرام، وكل هؤلاء جاءوا إليك ومطلوب منك ـ يا أخى ـ أن تُحْدِثَ نُمُوّاً عقليا عند هؤلاء، وأن يكون لك تأثير عليهم باستخدام خبرتك فى التفحص فى الوجوه، ونشاطك قبل ذلك فى القراءة التى أكسبتك مهارة ذاتية، وجعلتك تتفاعل مع البيئة وتعمل على إبراز قوى الخير فى نفوس هؤلاء جميعاً، ثم تستميلهم إليك؛ لتوجههم إلى الغاية المنشودة لكسب العلم حتى يبتعدوا عن الحرام وفعله، ويقتربوا من شاطئ الأمان، ويتعلقوا بسفينة النجاة وأنت قائدها الماهر تقودها برفق؛ لتسيطر عليهم حتى يبتعدوا عن الألفاظ البذيئة والعبارات النابية ذات الأساليب التى لا تتفق مع كيان الإنسان المتحضر، وفى الوقت نفسه تدفعهم ليتزودوا بقدر كبير من الإرشادات والتنبيهات؛ ليتحصنوا من الوقوع فيما يكون سببا فى البعد عن الله، والخلاف الدائم مع الناس.

إن الوقاية خير من العلاج، وأنت عليك أن تؤدى واجبك بأمانة وسعة أفق وكثرة اطلاع، فإن تحقق لك ما ترجوه فهذا خير وشرف لك، وإذا لم يتحقق ما ترجوه فعليك أن تواصل ولا تيئس ولا تقنط، فإن جاءك من يقول لك: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ

مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾[1]. فَقُلْ لهم ما قاله علماء بنى إسرائيل، عندما قيل لهم ذلك قالوا: ﴿قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾[2] . وتردد ما قاله نبيك العظيم لعل الله يُخْرِجُ من أصلابهم مَنْ يُوَحِّدُ الله.

فكن - يا أخى - على درجة الوعى واليقظة الدائمة، وكن كالديدبان الذى يحرس الفضيلة، فإن وَجَدَ اعتداءً عليها فى بيئته يُذَكِّر الجمهور بقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُم لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[3] .

(١، ٢) الأعراف - من الآية : ١٦٤.

(٣) البقرة: ٢١.

الدعـــوة

هى توجيه خطاب لشخص أو أكثر للاقتناع بمبدأ يؤمن به الداعى... وهى من الدعوة إلى الشىء والحث على التمسك به... قال الله تعالى على لسان سيدنا يوسف: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾(١) . أى من الدعوة إلى فعل الفاحشة ... وقول الحق أيضاً: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ﴾(٢). أى: السلامة من المكاره، والأمن من الخوف.

ومن المعلوم أن كل دعوة ـ مهما بلغت من السمو ـ لا يمكن أن تجذب إليها الأنظار ما لم يكن لها جهاز دعاية يحمل لواءها وينشر فكرها، ويدعو الناس إليها، وهذا الجهاز يؤسس فكريًا ويدرب على الدعوة للمبدأ الذى يؤمن به، والأساليب التى تؤهله إلى توصيل المعلومة التى يؤمن بها إلى غيره.

محاور الدعوة:

والداعية الناجح يتخذ لتوجيه دعوته محاور ثلاثة:

١ ـ الدعوة الفردية:

فالداعى يصاحب إنسانا معيناً يؤثر فيه بسلوكه، ويعمق فكرته فى وجدانه بنفاذ بصيرته، وقوة إيمانه بدعوته؛ ويحاول أن يقضى أكثر وقته معه؛ لأن الصحبة لها تأثير شديد فى وجدان المدعو،

---

(١) يوسف ـ من الآية : ٣٣.

(٢) يونس ـ من الآية : ٢٥.

وهذه الصحبة ـ بلا شك ـ لها تأثير كبير وفاعلية أسرع فى التأثير المباشر.

٢ ـ الدعوة الطبقية:

وذلك بأن يختار الداعى مجموعة من الناس يتفقون فى الميول والرغبات.. نزعاتهم واحدة، ومشاربهم متفقة، كأن يكونوا من العمال، أو الزرّاع أو الطلاب أو التجار أو النساء، ويبدأ يبين لهم المعاناة التى يعيشون فيها بسبب بعدهم عن الدين وفضائله أو المشاكل التى تحيط بهم بسبب خلافاتهم أو انعزالهم عن القيم الأخلاقية، ثم يبدأ فى شرح الفكرة الجديدة مع الربط لمقدمته، أو يبين لهم أن عليهم أن يزيدوا فى إنتاجهم مع إتقان الصنعة.

والداعى يخاطبهم على قَدْرِ فَهْمِهم، ويُعايشهم فيما يحيط بهم من مشاكل، ويلمس أحاسيسهم؛ ليكون التأثير أقوى عليهم، استناداً إلى قول الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾[1] . وقول الرسول ﷺ « أمِرْتُ أنْ أخَاطبَ النَّاسَ عَلَى قَدْرِ عقُولِهِم».

٣ ـ الدعوة الجماعية:

وهى أن يتحدث الداعى إلى مجموعة من الناس، فيهم الرجل والمرأة، والشاب والشيخ، والمثقف والأمى، ويخاطبهم جميعاً بحديث يؤثر فيهم ويجذبهم إليه؛ لأنه يخاطب وجدانهم ويعمق

---

(١) إبراهيم ـ من الآية : ٤.

فكره فى مشاعرهم، ويحرك أحاسيسهم فيما يعيشون ويتأثرون به وينفعلون بقوله.

ومما لا شك فيه أن الذى يدعو لفكرة يتحسس مشاعر الذين يدعوهم، ويتعرف على موضع كلمته فى نفوسهم وما لها من صدًى وتأثير. وعليه أن يفهم طبيعة الزمان الذى يحيا فيه، مع إدراك الاتجاهات السائدة فى البيئة التى يتحدث فيها، ويوجه كلامه إلى من يدرك أنه سيترك أثرا يؤتى ثماره ولو بعد حين، وهو فى إيمانه بمبدأ دعوته لا ييأس ولا يتسرب إليه القنوط؛ لأن الأمل يملأ عليه أقطار نفسه، وله فى رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة، وهو القائل «والله لو وضعوا الشمس فى يمينى، والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه».

أنواع الدعوة:

تتنوع الدعوة تبعاً للداعى ومبدئه الذى يؤمن به، فهناك من يدعو إلى الخير وآخر يدعو إلى الشر.. هناك من يدعو إلى الإيمان، وآخر يدعو إلى الإلحاد، هناك من يدعو إلى التمسك بالقيم الفاضلة، ومن يدعو إلى الانحلال الأخلاقى.. ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾[1].

وأبرز الدعوات علاوة على ذلك هى:

---

(١) هود. ١١٨. وصدر الآية ١١٩.

(أ) الدعوة السياسية:

وهى توجيه الدعوة لأهل منطقة معينة لغرس مبدأ سياسى، كالدعوة إلى الإيمان بالنظام الجمهورى أو الملكى أو الخلافة، وهكذا يبدأ الداعى فى شرح أسلوب المنهج وما فيه من أسس توفر الأمن للجميع، ويعم الخير من وراء الاقتناع بهذا المبدأ أو تطبيقه مع شرح المتاعب فى المبادئ الأخرى.

(ب) الدعوة القضائية:

تتلخص هذه الدعوة فى رفع القضايا أمام المحاكم، وتولى الدفاع عن المتهم وتقديم المذكرات وتداولها، وتعتمد هذه على نصوص قانونيه وأدلة.. وشهود وجانٍ ومجنى عليه، وهكذا.

(ج) الدعوة الاجتماعية:

وتقوم هذه الدعوة على أساس تعريف الناس بحقوقهم الاجتماعية، كحقهم فى المعاشات قِبَلَ الدولة والتأمينات الاجتماعية، وتشكيل النقابات، وكذلك حقهم فى المؤسسات العامة كالمدارس، والمستشفيات، والوقاية من الأمراض، وتعريف الناس بالصناعة وإجادتها، والنظافة العامة، وما شاكل ذلك.

(د) الدعوة الدينية:

تقوم هذه الدعوة الى التمسك بالدين وقيمة والتحلى بالاخلاق ويجب أن تتسم باللِّين والكلمة الهادفة المؤسسة على الحكمة؛ لأن الدين الذى ندعو الناس إليه هو الذى بعث الله به رسله

الذين ترادفوا للأخذ بيد الإنسانية؛ لتسير على الطريق المستقيم وتنهج المنهج الذى يسمو بأفراد المجتمع، ويصحح الفكر؛ ليستقيم على رعاية حق صاحبه وحق المجتمع الذى يعيش فيه، وكل الدعوات تنطوى تحتها، سواء كانت سياسية أو قضائية أو اجتماعية أو مذهبية؛ لأن الدين شامل لكل مناحى الحياة، والدعوة إليه مؤسسة على العدل والمساواة والحق والفضيلة والقيم الأخلاقية النبيلة، والذى يحمل لواء هذه الدعوة عليه أن يتسلح بأمرين:

أولا: عليه أن يكون خبيرا بطبائع النفوس، عليمًا بأحوال المجتمع الذى ينشر دعوته فيه؛ ليستطيع تحقيق هدفه من أقرب طريق وبأيسر الوسائل.

ثانيا: عليه أن يتصف بالحكمة، وهذا يتطلب منه دراسة جادة للبيئة التى يعيش فيها، بأن يكون فاهما للثقافات التى تمتلئ بها عقول المدعوين، والآراء التى تموج فى نفوسهم، وأن يكون على دراية بالعلوم الإنسانية والكونية والفقهية، والتاريخية، حتى يستطيع أن يصل بذلك إلى نفوس المدعوين وهو يدعو الناس، وعليه أن يتحسس أمراض المجتمع، ينصت لشكايات أفراده ولا يضيق منهم، ولا ييأس من هداية النفوس؛ لأن مثله كمثل الطبيب يتحسس أوجاع مرضاه، ويأخذهم برفق إلى احتساء الدواء، وإن كان مرًّا؛ لأن الداعية هو طبيب النفوس عليه أن يستخدم

جميع الوسائل التى تقضى على العلة، وعليه وهو يقوم بهذا أن يدعو بالحكمة والموعظة الحسنة؛ لأن الموعظة الحسنة توقظ الإنسان من غفلته، وتنبهه إلى عاقبة أمره؛ لأنه فى زحمة الحياة كثيراً ما ينسى ما فيه خيره ويتلهى عن مصيره، يوغل فى الغفلة والنسيان، وتحت أستار الغفلة يأتى ما يأتى من أخطاء.

فالموعظة الحسنة تخترق أستار الغفلة؛ لأنها تدخل على القلب بغير إذن، فتوقظ الإنسان من غفلته، وأذكر أن إماما انتهج أسلوب الشدة والسب، وتوعد المصلين بالويل والعذاب الأليم، فوقف له رجل وقال له: يا هذا، إن موسى الذى هو أفضل منك أرسله الله إلى فرعون الذى هو أقبح منا، ومع ذلك قال الله لموسى وهارون: ﴿فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾[1] . ونحن لسنا فى حاجة إلى موعظتك بهذا الأسلوب الذى ينفرنا من قبولها، فاتق الله فينا وحبِّبْنا إلى الله ولا تنفرنا منه.

الحاجة إلى الدعوة الدينية:

كل العالم محتاج إلى أن يعرف الله كما عَرَّفَ نفسه ـ سبحانه ـ إلى عباده، وهذه الدعوة لابد أن تكون عن طريق الأنبياء وبواسطة الوحى؛ لأن النفس الإنسانية ـ مهما بلغت من كمال ونضج ـ لا تدرك عظمة الله إلا إذا قرأت فى صحف الانبياء

---

(١) طه: ٤٤..

الذين ترادفوا لتوضيح ذلك من عهد آدم عليه السلام إلى أن ختم الله أنبياءه بسيدنا محمد الذى بشر به من سبقوه من إخوانه المرسلين الذين أوحى الله إليهم جميعا أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه. ورسالات الله حيثما ظهرت كانت من الكمال بالقدر الذى يملأ على الإنسان أقطار نفسه وحسه، فلا يتطلب وراءها مزيدا.

دعوة الأنبياء:

وأنبياء الله دعوتهم لحياة القلوب وإيقاظ النفوس: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[1]. ومهمة الأنبياء الأولى تصحيح العقيدة فى نفس الفرد حتى يعبد الله خالقه، وبتصحيح العقيدة يكون بناء الإنسان من داخله على نظافة القلب وطهارة الوجدان. فينهض بكل عمل يراه يحقق السمو الروحى والنضج الأخلاقى للإنسانية، ويسعى الفرد على الأرض وهو موصول القلب بالله الذى يشعر بوجوده معه ورقابته عليه وهيمنته فوقه. وأنبياء الله هم رواد الإنسانية فى مجال الخير والدعوة إلى الإسلام الذى يشمل نظام الحياة بأسرها، فهم يعملون على إيجاد مجتمع فاضل يتسم بالخلق والرحمة والعدالة والمساواة فى الحقوق بين الناس جميعا بلا تعصب لجنس أو محسوبية لأحد أو مجاراة لشخص مهما كان.

---

(١) الأنفال ـ من الآية : ٢٤.

الداعية:

والداعية متبع لهؤلاء الأنبياء، وليس بمبتدع، والدعاة طلائع النور فى الأمة وبوادر اليقظة فيها، وأمل المجتمع لغد أفضل تشع فى جنباته السعادة والهدوء والاستقرار، وهم فى دعوتهم يريدون الخير لكل الناس، ويسعون لدعوتهم يبلغونها وينشرونها؛ لتكون السعادة للجميع، فهم فى دعوتهم لا يتعصبون لجنس، أو لون، ولا ينحازون إلى جماعة تغلق فكرها وتتعصب لرأيها وتعزل نفسها عن المجتمع؛ ذلك لأن الدعاة روح جديدة تسرى فى جسم الأمة فتحييه بالحق، ونور يبدد الظلام، ظلام الجهل، فهم يهدون الحيارى سواء السبيل، ويطردون الخوف من نفوس الجماهير.

إنهم يبشرون برحمة الله وعفوه، ويعملون على تدعيم السلام ونشر العدالة والدعوة إلى الخير، فبدعوتهم يحيا الناس ويعيشون فى نور الحق ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾[1] .

إن رسالات السماء تستهدف مصلحة الإنسان، وقد وضح الحق ـ سبحانه وتعالى ـ فى منهج الرسالات سعادة الإنسان وفلاحه؛ لأنه خليفة الله فى الأرض، ولقد كرمه الله ـ سبحانه وتعالى ـ على جميع خلقه، ومنحه العقل، وهداه النجدين؛ لذلك.ترادفت رسالات السماء لتوضح له معالم الطريق وتبين له مواضع أقدامه، فيتمكن من السير على الطريق السوى الذى يوصل إلى عز الدنيا وفلاح الآخرة.

---

(١) الأنعام ـ من الآية: ١٢٢ .

الدعوة لإسعاد المجتمع ومحاربة الانحرافات:

لقد أرسل الله رسله مبشرين ومنذرين، وأنزل مع كل نبى كتابا، فكان كل نبى يقوم بتبليغ الدعوة مشافهة بينه وبين من أُرسِلَ إليهم، وما من نبى إلا قال لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾[1] . فالدعوة أساس لتصحيح العقيدة، والأمر بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة؛ لأن العقيدة تربط الإنسان بخالقه، والصلاة تنظم له وقته وتدربه على النظافة والعمل الاجتماعى حتى لا يعيش منعزلا عن بنى جنسه، وتعطيه وجبة روحية تنير له قلبه، وتوقظ فيه ضميره، وتجعله فى مراقبة لله دائمة، فلا يؤذى غيره، ولا يتهاون فى عمله، ولا يتكاسل عن أداء واجب، والزكاة تغرس فى نفسه حبَّ الناس، ومدَّ يد العون لمن هم فى حاجة إلى ذلك وبذل المعروف لأهله ولغير أهله، ومن هنا قال الله سبحانه: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾﴾[2] . وكما قال سبحانه على لسان سيدنا عيسى عليه السلام: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾﴾[3] .

---

(١) هود ـ من الآية: ٥٠.

(٢) مريم: ٥٤ و ٥٥.

(٣) مريم: ٣٠ ـ ٣٢

ومع ذلك كان كل نبى يحارب الانحراف الأخلاقى الذى يسود فى مجتمعه، ويعلن أن الأمة لا تنجح ولا تتبوأ مكان الريادة إلا إذا سادها الخلق الكريم، والمثل العليا؛ لذلك نرى نبيا كسيدنا شعيب يرى أن ضياع الأمة وطمس معالم الحضارة فيها كان بسبب انتشار الأخلاق الفاسدة، وانعدام المثل العالية؛ لذلك كان اهتمام هذا النبى العظيم بعد غرس العقيدة فى نفوس قومه ـ محاربة الغش التجارى الذى انتشر بين التجار فى البيع والشراء، ويصيح فى قومه: ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾[1]. وبقوله: ﴿أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[2].

وسيدنا لوط الذى حارب الشذوذ الجنسى والانحراف الخلقى والخروج على مقتضى الفطرة البشرية، وكما يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ﴾[3]. وسيدنا صالح عليه السلام الذى كان يحارب الترف المادى المؤسس على الاستغلال والظلم والبطش بالضعفاء، فهو يقول لقومه: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾﴾[4].

---

(١) الشعراء: ١٨١.

(٢) هود ـ من الآية: ٨٥.

(٣) العنكبوت: ٢٨ وصدر ٢٩.

(٤) الأعراف ـ من الآية : ٧٤.

وهكذا كل نبى له مهمة عظيمة ورسالة خطيرة، فكما أنها تبنى الإنسان على الخير من داخله كذلك فى الوقت نفسه تصحح المسار للشخص والجماعة؛ ليتم الربط بين الإنسان وأخيه الإنسان فى إطار المودة والمحبة والتعاون وإقامة مجتمع مترابط متواد متآلف.

وكان كل نبى يعتمد على تبليغ الدعوة مشافهة بينه وبين الجمهور المستهدف، أو يرسل رسله أو كتبه حيث كان يخاطب الكل بلا استثناء. وأنبياء الله زعيمهم سيدنا محمد قال الله له: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾[1].

لذلك خاطب هذا النبى العظيم قومه بقوله: «لو أخبرتكم أن خيلا بالوادى تريد أن تغير عليكم أكنتم مُصَدِّقِيَّ؟ قالوا: نعم، ما جربنا عليك كذبا قط.. قال: إنى رسول الله إليكم خاصة وإلى الناس عامة[2]». وكان يأمرهم بصلة الرحم، وحُسن الجوار، وعدم أكل أموال الناس بالباطل، وإتقان العمل، وحب الخير للناس جميعاً. وقد سلك فى توصيل دعوته إلى الناس الأمور المتاحة أمامه، فكان كل صحابى له أن يبلغ ما يسمعه إلى غيره. يقول رسول الله ﷺ «بَلِّغوا عنى وَلَوْ آية، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنى

---

(١) الأحزاب: ٤٥ و ٤٦.

(٢) فقه السيرة للشيخ محمد الغزالى ص: ١٠١، ط: دار الكتاب الحديثة.

إسرائيل ولا حَرَجَ، ومَنْ كَذَبَ عَلَىَّ متعمدا فَلْيَتَبَوأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ[1]. ويقول رسول الله ﷺ «فإنِّى نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَىْ عذاب شَدِيد»[2].

وقال رسول الله ﷺ: «نَضَّرَ الله امْرأً سَمِعَ مِنَّا شيْئاً فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَهُ، فَرُبَّ مُبَلِّغٍ أوْعَى مِنْ سَامِعٍ»[3].

ومع أن كل شخص مكلف بالدفاع عن الإسلام والذود عنه، وصد التيارات المنحرفة الهدامة التى تحاول طمس معالمه ونبذ أخلاقه، ووصفه بأنه موضة قديمة؛ لذلك يجب على الأمة أن تهيئ المناخ الطيب لفئة تعكف على الدراسة والمتابعة والتحصيل والاستنتاج؛ ليكون هناك ملاءمة بين الفكر والبيئة وتعادل الآراء، وخاصة إذا ما عرفنا أن التخصص فى كل شىء أمر مطلوب، وعمل عظيم يؤتى ثمرة طيبة؛ لذلك ندب الحق سبحانه وتعالى جماعة من الناس تهب نفسها لحمل الرسالة والدعوة إليها ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾[4]. ومع ذلك فلابد أن يكون هناك نفر يتصدى لهجوم الملحدين والمتطرفين والمناوئين الذين يعملون بكل طاقاتهم لهدم أسس الدين الإسلامى، وبذل أموالهم لمحاربة الأخلاق الطيبة بنشر الفساد، وترويج الأخلاق

(١) فيض القدير جـ ٣ صـ ٢٠٦

(٢) المرجع والصفحة السابقان.

(٣) رواه أبو داود..

(٤) آل عمران: ١٠٤.

الهابطة، والقيم المنحطة، ومع أنهم ينفقون ما سوف يكون عليهم حسرة، فإنهم يعملون ويعملون؛ لذلك جاء التوجيه الإلهى بهذا التخصص فى الدين والتعمق فى الدراسة والتصدى لهؤلاء، وحتى لا يكون الأمر على الإطلاق بين الناس ويتخلى الشخص عن المسئولية لغيره فيضيع الحق ويعلو الباطل، فقد نبهنا الحق ـ سبحانه ـ إلى أنه لابد من قيام نفر ليتفقهوا فى الدين ويتعرفوا على الحلال والحرام، وشرح الآيات القرآنية والسنة النبوية، حتى يتحدد الأمر، وتتضح المسائل، ولا يضيع الحق بين التسيب والإهمال.

يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿فَلَوْلا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[1]. ومن لحظتها وهناك تخصص فى الدراسة والتمحيص، خاصة إذا عرفنا أن التخصص الآن هو الأمر المطلوب، حتى فى الجزئيات، ففى مجال الطب هناك تخصص معين فى جزء معين من جسم الإنسان، وكذلك الكيمياء، والرياضيات، وما شاكل ذلك، ونخلص من هذا إلى الآتى:

١ ـ الأمة الإسلامية مطالبة بالدفاع عن الدين والتصدى لأى انحراف أخلاقى يهدد أمنها واستقرارها: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[2].

(١) التوبة ـ من الآية: ١٢٢.

(٢) آل عمران ـ من الآية: ١١٠.

٢ ـ التخصص فى الدراسة الإسلامية، وتهيئة المناخ لفئة خاصة تدرس الدين الإسلامى وتتعرف على أوجه الحلال والحرام، والعكوف على متابعة التيارات الملحدة والأفكار الهدامة، وبيان ذلك للناس، وتبصيرهم بما يجب عمله أمر مطلوب جداً ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾[1]. ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾[2].

من هذا المفهوم كان هناك العلماء الذين تخصصوا فى دراسة الدين ومتابعة الآراء على المستويين المحلى والعالمى؛ لأن رسالة الإسلام عالمية الفكر، خالدة إلى يوم الدين، ولأن وحى السماء ختم على يد سيدنا محمد، فلا نبى بعده ولا رسول يخاطب من قبَلِ الحق، وإنما قرآن ربنا الذى نزل على عبده ليكون للعالمين نذيراً، هو بيننا بما فيه من سمو وعظمة، وهو المعجزة الخالدة الذى من قرأ فيه فكأنما يقرأ طوية نفسه الطاهرة، ومن استمع إليه كأنما يستمع همس خاطره النقى، ومع ذلك فهذا القرآن فيه نبأ من قبلنا، وخبر ما بعدنا، وحكم ما بيننا، هو الفصل، ليس بالهزل، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم.

---

(١) آل عمران ـ الآية. ١٠٤.

(٢) التوبة: ١٢٢.

والعلماء هم الذين يحملون لواء الدعوة، يجددون الدين فى قلوب الناس، ويؤصلون أسس الخير فى نفوسهم، وكان لهؤلاء العلماء منزلة الإعزاز بين قومهم الذين يكفلون لهم حياتهم المعيشية ويهيئون لهم جو الاستقرار، ويحظون بالمكانة السامية فى نفوس العامة والخاصة، وفى نفس الوقت كان الكثير منهم يعمل لكسب قوت يومه له ولأسرته، فكان منهم الخَوَّاصُ، والعَطَّار، والخياط، وصاحب محل بيع الأقمشة... إلخ. والدولة مع تهيئة المناخ لهم كانت تفسح لهم فى هذا المجال؛ ليكون لهم الاستقرار والكفاية المعيشية حتى لا يريقون ماء وجوههم، ولا يظهرون بمظهر غير كريم، واستمر الحال على ذلك إلى أن تنبه أعداء الإسلام، وقامت حملات إرهابية على الخلافة الإسلامية، وتتابعت الحروب الصليبية مُعْلَنَةً مرة ومستترة مرات، حتى قضى على الخلافة الإسلامية وتمزقت الدولة وأصبح كل حزب بما لديهم فَرِحُون.

وقد استمر الأمر على ذلك حتى انحسر الإسلام عن الفردوس المفقود «الأندلس»، ثم عملت معامل الهدم فى البقية الباقية من حضارة الإسلام الزاهرة، وقد نشط العلماء يحثون الناس على النهوض من كبوتهم، والتنبيه لما يراد لهم ولدينهم، وعلا صوتهم لإيقاظ العواطف الدينية وإيثار الدار الآخرة على الدنيا الفانية، والنزول إلى العدو لمحاربته؛ طلبًا لرضوان الله، وسعيًا للحصول على الشهادة فى سبيل الله والدفاع عن الوطن، ومن نالها فهو الحى عند ربه ﴿**وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ**

عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾[1]. وهنا تنبه العدو لخطر العلماء الدينيين عليهم، وأن صوتهم أقوى من المدافع، ولسانهم أحدُّ من السيف، فاتجهوا إليهم، وخططوا للقضاء عليهم، كيف. . .؟

لقد نشط العدو وفكر وانتهى إلى ما يلى:

١ ـ تشويه صورة رجل الدعوة وإبراز حياته للناس على أنه رجل لا يعرف أى شىء، وأشاعوا حوله جوا من الافتراء عليه بالنكت والسخرية، ونذكر فى هذا المقام ما كان يظهر فى الجرائد حول صورة الشيخ متلوف، ومجلة البعكوكة دورها بارز جدا فى هذا الميدان.

٢ ـ عزل الدعاة عن الحياة العامة وعدم توليهم أى منصب مرموق وتضييق الحياة المعيشية أمامهم، وقصر الأعمال المهمة على غيرهم. . وكان هذا ـ بلا شك ـ عاملاً مؤثراً على الدعاة، الأمر الذى جعل عددهم يقل فى المجتمع، فلاحظ أهل الخير ذلك، فبدأت الأسر الطيبة تهب أحد أبنائها الذكور لتعلم العلم بعد أن يحفظ القرآن فى «الكتاب»، وهنا هب أعداء الإسلام يخططون من جديد للقضاء على تلك الظاهرة، فأنشئوا المدارس الابتدائية، ثم أصدروا قانون الإلزام ـ أى إلزام والد الطفل بإدخال ولده إلى المدارس الابتدائية منذ نعومة أظافره، ومن لم يُدْخِلْ ولده المدارس يدفع غرامة مالية، كل ذلك لم يفت فى عضد ذوى

(١) آل عمران: ١٦٩. وصدر: ١٧٠.

النفوس المؤمنة الذين يهبون أولادهم للعلم الدينى وحفظ القرآن الكريم، رغم المعاناة والصعوبات التى تعترض حياتهم.

الأوقاف:

إن الخير كامن فى أعماق المسلمين، والنوازع الطيبة موجودة بكثرة، فعندما أحس أهل الفضل والسعة بتخطيط الاستعمار وحربه للدين وعلمائه، أوقفوا أطيانهم ودورهم؛ ليكون من ريعها ما يكفى لمن يتعلم العلم الدينى، وكانت تعرف **«بالجراية»** تصرف لمن يجاور فى الأزهر، فيتعلم العلم الدينى بعد حفظ القرآن الكريم، وهنا روَّج الاستعمار دعايته، وأطلق إشاعاته، وأشاع أكاذيبه حول رجل الدعوة، ومع كل ذلك لم يستطع أن يجفف الروافد التى تمد الأزهر بحفظة القرآن الذين يتخرجون منه فيقومون بالدعوة إلى الله على بصيرة، وهكذا كانت حيله المتعددة تبوء بالفشل نتيجة الإرادة القوية من المؤمنين ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾[1].

رعاية الدعاة اجتماعياً:

إن الغرض الأساسى لأوقاف المسلمين هو أن تكون لمن يحفظ القرآن ويعكف على تحفيظه وتفسيره.. لمن يدرس السنة النبوية ويقرأ البخارى ويعلم الناس ذلك، ومن يتعلم الفقه وأصوله وأوجه الحلال والحرام والجائز. كما تكون لرعاية هؤلاء من كل جانب بتوفير السكن المناسب لهم، والملبس اللائق بهم، والمركب

---

(١) يوسف ـ من الآية: ٢١.

الذى يحملهم إلى المكان المراد إلقاء الموعظة فيه، والوصول إلى الجمهور المستهدف وإقامة الندوات، وطبع المصحف لتداوله والكتب المعينة على ذلك من تفسير وفقه وأحاديث وتاريخ وأخلاق.. كذلك رعاية الدعاة صحيًا بإعداد المكان لهم لتوقيع الكشف الطبى عليهم، وصرف ما يتطلب صرفه لهم من العلاج، كذلك تهيئة المناخ لهم لمواصلة الاطلاع على كل جديد من الفكر العالمى والمحلى، وذلك بتيسير سبل الحصول على الكتب والمجلات والدوريات؛ ليكون الداعية عنده إلمام بكل جديد يُنْشَرُ، وبكل مقال؛ ليستطيع تفنيد ذلك ووضعه فى ضوابط القانون الإسلامى، وحتى لا تكون هناك خلخلة فكرية وإثارة لمشاكل يصعب فهمها عند البعض من المسلمين. إن أهل الخير فعلوا ذلك من فهمهم لطبيعة رسالة الداعية وأنه مخ الأمة وقلبها النابض بالحياة وعقلها المفكر بالضوابط على اسس منظمة.

قياس مع الفارق:

إن الأمم الناجحة هى التى تعمل على توفير حياة أفضل لأبنائها، ويتحقق ذلك عن طريق:

١ ـ زيادة المصانع لتشغيل الأيدى، وتوسيع الرقعة الزراعية لتوفير احتياجات الشعب؛ ليكون لدى الجميع موفور الطعام والشراب، ويتم تداول المال وسيولته.

٢ ـ إعداد الجندى المدرب على آلات الدفاع؛ ليكون على حدود وطنه؛ ليصد عن أمته هجوم العدو الذى يريد احتلال بلده، ونهب ثروته، وضياع مجد آبائه وأجداده.

٣ ـ إعداد الشرطى الأمين؛ ليقوم بالحراسة فى الداخل، والضرب على يد المنحرفين، وإيجاد الضبط والربط داخل المجتمع؛ ليعيش الجميع فى جو من الأمن والاستقرار.

٤ ـ توفير جو مناسب لفئة معينة؛ كى تبتكر وتخترع وتخطط وتنظم وتعكف على إقامة جو من العلاقة الطيبة بين كافة الأجهزة المعنية داخل الوطن، وتقيم جسرا من التفاهم لحل المشاكل التى تظهر عند تنفيذ مشروع حيوى يخدم الأمة وينهض بها.

وكل ذلك من الأمور العظيمة والمطلوب توافرها فى أى أمة تحترم نفسها، وتريد حياة طيبة لمجتمعها وغداً أفضل لأبنائها.

ومن المعلوم أن الطعام والشراب ليسا غاية فى حد ذاتهما؛ لأن الأمة التى تحترم ذاتها تعلم أن لها رسالة تحيا لها، وتعمل فى سبيلها، وغاية تسعى إليها، ومن المعلوم أن الذى يقوم بصنع الحضارة على أى أرض هو الإنسان، ولابد من بنائه على خصائص عظيمة تؤهله للقيام بدوره فى الحياة، والذى يبنى الإنسان هو التلاؤم بين متطلبات روحه ومطالب جسمه؛ ليكون هناك انسجام بين الروح والجسد، وحتى لا يطغى هذا على ذلك لابد من التوجيه والإرشاد؛ لينسجم الإنسان مع نفسه، ويثق فى قدرته ويصل نفسه بخالقه، ويدعم العلاقة الطيبة المؤسسة على الأخلاق الفاضلة بينه وبين الناس فى إطار «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[1]. والإنسان لا يستطيع أن يفعل

---

(١) فيض القدير، للعلامة المناوى ص٦ وص ٤٤٣ ـ دار المعرفة.

ذلك من تلقاء نفسه، إذ لابد من شخص يقوم بهذا الدور العظيم تكون مهمته تأصيل القيم فى النفوس، وتهيئة المناخ العام لإيجاد الفرد الصالح، وبناء المجتمع السليم. ومن الذى يفعل ذلك ويقوم بهذا الدور؟ إنه الداعية، فهو الذى يربى الإنسان على حب الله ومراقبته، وينمى فيه الانتماء إلى الوطن الذى يعيش فيه، وخلق جو من التآلف بين الفرد والمجموع، مع تنمية روح التعاون بينهم، ثم ينمى الضمير الذى يحرك العواطف الطيبة ويسمو بالروح.

والأمة العظيمة هى التى تعمل على تهيئة المناخ الطيب حتى يتم توحيد الهدف وإيجاد رابطة قوية بين الخالق والمخلوق لإبراز خصائص الأرواح مع أحاسيس الأجساد، ذلك لأن الأمة مهما ارتقت من الناحية الصناعية والزراعية، وإعداد الجيوش الكثيرة العدد أو تدريب الشرطة للحراسة، فإن بُعْدَها عن الله يزين لها من الجرائم ما تنحط به إلى الأسفل، ويعرضها لأوخم العواقب: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝١﴾[1]. ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝٧ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ ۝٨﴾[2].

والذى يقيم التوازن بين الروح والجسد هو الدين.. ويتم التعرف على منهجه عن طريق توجيه الدعوة المستمرة إلى الناس،

---

(١) الفيل: ١.

(٢) الفجر: ٦ ـ ٨.

حتى يستبين للإنسان الصواب من الخطأ، ولتزدوج الحياة مع الدين كما تزدوج الروح مع الجسد.

ويتم ذلك بالأخذ من كلام الله وهدى المرسلين، لأن هناك معارف تتصل بالله، وما ينبغى له وما كلف عباده إياه من فروض لا مجال لتلقيها إلا من وحى الله على لسان رسول أمين، ورسالات الأنبياء لا ترسمها اجتهاداتهم، ولا تنبع من فلسفات فكرية، بل هى توفيقية من عند الله سبحانه وتعالى، والالتزام بأمره، ولا نستطيع أن نركن فى ذلك على عقل البشر أبداً ومع احترامنا للعقل البشرى والفكرى الإنسانى، فإن القصور يلحقهما أحيانًا كثيرة، والنسيان يلازمهما فى بعض الأحيان، أما الكمال المطلق فلله وحده، وله المثل العليا فى السموات والأرض؛ لذلك نجد أن الأمم العظيمة هى التى تهتم بالدعاة وتربيتهم، والعناية بهم حتى يقوموا بدور التوجيه للناس؛ ليقبلوا على الله بصفاء قلب، ونقاء نفس، وطهارة روح، ونظافة جسد، ثم يعملوا على تدعيم القيم الأخلاقية، ونشر الحق بين الناس.

إن اهتمام الأمم العظيمة بالدعاة وتوفير الرعاية الاجتماعية لهم لا يقل عن تربية الجندى أو الشرطى أو الطبيب، إن لم تكن تربية الداعية أكبر أهمية؛ لأن الداعية هو الذى يقوى العزائم بروحه، وهو الصلة القائمة فى المجتمع بين الناس وكتاب ربهم، ويوجه المؤمنين فى شئون حياتهم وروحه؛ مفعمة بالحق والنشاط والأمل، فإذا رأى فتورا فى اتباع الدين وتهاوناً فى القيم واعتداء على الفضائل ونهبا فى المال العام، وغشًا فى التعامل ـ نفخ فى

الصالحين من روحه، لتكون فيهم القوة للدفاع عن الحُرمات التى نَهَى الله أنْ يُعتَدى عليها وأمر أن تُصان، فصوته يعلو كلما عرض لتعاليم الإسلام ما يعكر صفوه وينال من قيمه.

إن الداعية دائما يعترف بجهد السابقين، ويقدم الشكر لهم على ما بذلوه، ويؤسس دعوته على الوحدة الدينية التى تؤاخى بين الأنبياء وتوقر صحائفهم، وتصون تراثهم، وتحقق فى هذا العالم أهدافهم: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾(١).

إن بناء المصانع سهل، والارتفاع بالعمارات أسهل، وشق الترع لا يؤثر على جهد من يريد، لكن بناء النفوس صعب، وتربية الرجال أصعب؛ لأن ذلك يتطلب تغيير عادات واقتلاع أمور ألفها الإنسان وتطبع بها، ومن هنا كانت مهمة الأنبياء أشرف عمل وأجل خدمة للمجتمع الإنسانى؛ لذلك كان الحق ـ سبحانه وتعالى ـ يختارهم من أفضل العناصر وأطهر النفوس وأكرم البيوت: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾(٢).

ويقول الشاعر:

أرأيت أشرفَ أو أجلَّ من الذى
يبنى ويُنْشِئُ أنفُساً وعقولاَ؟

---

(١) البقرة: ٢٨٥.

(٢) الأنعام ـ من الآية: ١٢٤..

الدعاة:

الدعاة هم ورثة الأنبياء؛ لأنهم يحملون لواء الدعوة بعدهم، ولهم من سمات التقدير والاحترام ما يتناسب مع عملهم وشرف مهنتهم، ولأنهم يبنون النفوس ويحيون الأرواح، وصدق الحق سبحانه: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾(1). والدعاة إلى الحق هم أئمة المتقين، يرفع الله قدرهم ويعلى منزلتهم، ويصونهم: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾(2).

مكان الداعية:

لقد اتخذت الدعوة إلى الدين طريقاً واحداً: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾(3). وأساس ذلك هو التحلى بالفضائل، والتمسك بالقيم الأخلاقية، وتبصير الناس بكل أمورهم. والمكان المهيأ لذلك هو المسجد الذى هو بيت الله فى الأرض، يدخل إليه أصحاب القلوب والنفوس الطاهرة، يقفون بين يدى الله بنظافة جسد وطهارة روح، وهذا المكان بحق «جامعة شعبية» يدخلها الكبير والصغير، الرجل والمرأة، المثقف والأمى، فلا يُحْجَبُ أحدٌ عن دخوله، اللهم إلا إذا حجب نفسه هو من الدخول فى هذا المكان الطاهر، ومن المعلوم أن الداعية

---

(1) الأنعام ـ من الآية : ١٢٢

(2) المجادلة ـ من الآية : ١١.

(3) يوسف ـ من الآية : ١٠٨.

يكون فى جميع الأماكن التى يتم فيها التجمع الجماهيرى، حيث يقوم بتوجيه وتبصير الناس بأمور الحلال والحرام.

واليوم تعددت أماكن التجمعات، وأصبح على الداعية أن يذهب إلى الجمهور يثقف عقولهم، ويجمع صفهم ويوحدهم على كلمة الحق، ويبين لهم الحلال والحرام فى أى مكان، وهو لا يتأخر أبدًا؛ لإحساسه بأنه صاحب رسالة مسئول عن تبليغها إلى الناس أجمعين.

الدعوة فى الوقت المعاصر:

للمَدِّ الإسلامى أثره فى بناء النفوس، وهو الذى جعل المسلمين رواد فكر، وركائز للثقافة العامة، وأساتذة فى كل مناحى الحياة، ولقد اغترف من علمهم رواد الحركات الفكرية، ولا ينكر ذلك إلا مكابر.

ومن المعلوم أن الإسلام بمنهجه يعمل على تحرير الإنسان من ذل العبودية للبشر، ورفع شأنه وتحقيق العدالة الاجتماعية له.

ومن أجل ذلك اتَّخَذَ الدعاة إلى الله الوسائل المتاحة أمامهم لنشر أفكارهم، وكان المنبر فى المسجد هو الأصل فى كل ذلك، فحوله يلتقى أصحاب القلوب الطيبة، والنفوس الطاهرة، الذين قالوا: ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا﴾(١).

---

(١) آل عمران ـ من الآية : ١٩٣.

ولأن التطور من طبيعة الأحياء ظهرت وسائل عدة أهمها:

١ ـ الإذاعة المسموعة والمرئية.

٢ ـ أشرطة الكاسيت: الفيديو. . السينما. . والمسرح.

٣ ـ الجرائد. . والمجلات. . والكتب والدوريات.

وأصبح لكل هذه الوسائل الأخرى جهود ضخمة من ورائها تخطط وتنظم وتبذل الأموال وتجند الرجال، ومن المعلوم أن صوت الداعية إذا اقترب من هذه الوسائل فإنه يسبقها ويلاحقها؛ لأنه يدعو إلى الحق وبه ينادى، وصوت الحق أعلى من كل صوت، ولا يصح إلا الصحيح.

ولقد ظهرت أشياء من هذه الوسائل تحمل الطابع الإسلامى، وتنقل صوت الداعية، إلا أن أسعارها كانت تزيد على قدرة القارئ؛ لأن الدعم لم يصل إليها، ومن هنا عجزت عن مسايرة الأحداث، وتخلفت عن الركب.

لذلك حدثت خلخلة فكرية، وانتشرت تيارات معادية لآراء الإسلام، الأمر الذى يجعلنا نقف طويلا لنحدد الهدف، وهو يتخلص فى الآتى:

١ ـ توجيه الذين يشرفون على استثمار الأموال إلى إنشاء شركات إسلامية تقوم بنشر الفكر الإسلامى على أشرطة الكاسيت والفيديو، وتسجيل الأحاديث النبوية وشرحها، وبيان منهج الإسلام فى ربط العلاقات الاجتماعية بين الناس، ونشر ذلك عن طريق دور العرض ومحطات الإرسال.

٢ ـ تخصيص صفحة يومية بجميع الجرائد التى تصدر لإعطاء رأى الدين فى المسائل اليومية التى تهم الناس وتتعلق بشئونهم.

٣ ـ توجيه توصية لدعم الكتب الدينية حتى يقبل عليها الجمهور، نظرا لغلاء أسعارها بالمقارنة إلى أسعار غيرها من الكتب.

إن شرخًا ما حدث فى جدار الصداقة بين الدعاة والجمهور، ومرد ذلك إلى ظهور هذه الأشياء التى تهدم الأخلاق، وتسىء إلى القيم العالية فى حين صوت الداعية محبوس بين أربعة جدران لا يصل إلى الناس فى منازلهم إلا لماماً، كما أنه لا يصل إلى الجمهور المستهدف فى التجمعات الشبابية فى دور العرض من مسرح وسينما وأندية وجمعيات.

عمل الدعاة توفير الرعاية الاجتماعية للجميع

إن الدعاة إلى الله مع دعوتهم إلى طهارة القلب، وحُسن الصلة بالله والإخلاص فى العمل وإتقان الصنعة، والقيام بشكر الله على نعمه، فإنهم يبذلون جهدا كبيرا لتوفير الرعاية الاجتماعية لجميع الناس، واستعمال الأساليب الدينية لتبصير الناس بحقوقهم، مع دفع عجلة التقدم فى المجتمع؛ ليزدهر ويرقى بيد أبنائه الذين يؤمنون بالله، ويعترفون برسالة سيدنا محمد الذى بعثه الله خاتما للأنبياء والمرسلين؛ لذلك عندما نستمع إلى الداعية فكأنما نستمع إلى:

١ ـ مسئول كبير فى وزارة الدفاع؛ لأنه إذا تحدث عن الجهاد تجده يحث الناس على التدريب العسكرى المستمر وأخذ الأهبة والاستعداد لملاقاة العدو، والدفاع عن الوطن، والذود عن حرمات الأمة: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ (١). و «المؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف» (٢).

٢ ـ مسئول كبير بوزارة الداخلية؛ لأنه يحث الناس على اليقظة التامة وحراسة المنشآت، والحفاظ على المال العام، وعدم انتهاك الحرمات، أو فعل أى شىء يخدش الحياء فى الطريق العام، وعدم إيذاء الجار ومراعاة شعوره، والتعاون فى كل الاتجاهات «كل عين باكية يوم القيامة إلا عينا بكت من خشية الله، وعينا غضت عن محارم الله، وعينا سهرت فى طاعة الله» (٣). «لا تروعوا المسلم؛ فإن روعة المسلم ظلم عظيم» (٤).

٣ ـ مسئول كبير بوزارة التموين؛ لأنه يحث التاجر على عدم المغالاة فى الأسعار، وعدم تخزين البضائع لخلق سوق سوداء، وعدم تطفيف الكيل ونقص الميزان ﴿أَلاَّ تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾ (٥). و«من غشنا فليس منا» (٦). و«من احتكر طعاما على أمتى أربعين يوما وتصدق به لم يقبل منه» (٧).

---

(١) الأنفال ـ من الآية: ٦٠.
(٢) صحيح مسلم بشرح النووى جـ١٦ ص٢١٥.
(٣) جامع الأحاديث للسيوطى جـ٥ ص٩٧.
(٤) جامع الأحاديث جـ٧ ص١٩٥.
(٥) الرحمن: ٨.
(٦) جامع الأحاديث جـ٦ ص٤٨٢.
(٧) جامع الأحاديث جـ٦ ص٧٩.

٤ ـ مسئول كبير بوزارة الاقتصاد؛ لأنه يحث الناس على الاقتصاد فى النفقة وعدم تبذير المال، والتخطيط المنظم للتوفيق بين الدخل والإنفاق: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ (١). ثم يحث الناس على دفع مستلزمات الدولة وعدم التهرب من دفع الضرائب؛ لأن دفعها يعود بالنفع على المواطنين جميعًا من حيث أداء الخدمة، «والله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه»(٢). و﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾(٣).

٥ ـ مسئول كبير بوزارة الزراعة؛ لأنه يحث الناس على فلاحة الأرض وزراعتها والعناية بها، وبذل الجهد فى النقاوة، وإبعاد الحشائش الضارة عن زراعته، وغرس الأشجار والمحافظة عليها: ﴿فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلاً ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾(٤).

٦ ـ مسئول كبير بوزارة الصحة؛ لأنه يحث الناس على الوقاية من الأمراض، وهى خير من العلاج، ويطالب الناس بنظافة

---

(١) الإسراء ـ من الآية: ٢٧.

(٢) جامع الأحاديث للسيوطى جـ٦ ص ٦٣٣.

(٣) آل عمران ـ من الآية: ١٦١.

(٤) عبس: ٢٤ ـ ٣٢.

أبدانهم، وغسل أسنانهم، والنظافة من الايمان، ويحثهم على الاعتدال فى الطعام والشراب: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا﴾ (١). و«ما ملأ آدمى وعاءً شَرًّا مِنْ بَطْنِهِ» (٢). ثم يحثهم على عزل المرضى والعناية بهم، وأخذ الدواء، وعدم تعاطى المخدرات والمسكرات، واعتزال النساء فى المحيض، وهكذا «إن الله نظيف يحب النظافة، جميل يحب الجمال» (٣). والصِّحة تاج على رءوس الأصِحَّاء، لا يعرف قدرها إلا المرضى. ويحثهم على الرياضة البدنية والاعتدال فى كل شيء.

٧ ـ مسئول كبير بوزارة التربية والتعليم؛ لأن الإسلام دين علم وتعلم، ويدفع الشباب إلى التدريب المهنى، وتعلم الحِرَف، والصناعات من الأمور الأساسية التى حث الإسلام على تعلمها وأول آية نزلت تحث على تعلم القراءة: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ۝ الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝﴾ (٤). وطلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ (٥). و « اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد».

---

(١) الأعراف ـ من الآية. ٣١.

(٢) جـ٥ ص٢٢٤ فيض القدير للمناوى، ط بيروت.

(٣) جـ٢ ص٢٢٤ فيض القدير للمناوى، ط. بيروت.

(٤) سورة العلق ـ الآيات من ٣ ـ ٥.

(٥) سورة الزمر ـ من الآية ٩.

٨ ـ مسئول كبير بوزارة الشئون الاجتماعية؛ لأنه يدعو الناس إلى نشر الوعى القومى، ورعاية المحتاج ومد يد العون للضعيف، وإخراج الزكاة، ورعاية المعوقين والمسنين، ويعلمهم أن يتعرف كل شخص على ما له من حقوق فى التأمينات، وما عليه للدولة مقابل ذلك «ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا ويأمر بالمعروف وينه عن المنكر» (١). و«لا ضرر ولا ضرار (٢)». و«تعاونوا على البر والتقوى».

٩ ـ ثم تسمعه مرة أخرى فيخيل إليك أنه عامل؛ لأنه يطالب رَبَّ المال أن يدفع الأجر للعامل، وعدم التهرب من ذلك «أعْطُوا الأجيرَ أجْرَهُ قبلَ أن يَجفَّ عَرَقُهُ»، ويطالب رب المال بالرفق بالعامل، وعدم ظلمه فى العمل، وتقديم الطعام والشراب إليه «مَنْ كان أخُوهُ تَحْتَ يَده فَلْيُطْعمهُ ممَّا يَطْعَم».

١٠ ـ مصلح اجتماعى؛ لأنه يقوم بالصلح بين المتخاصمين، ويعمل على إزالة الخلاف، ثم هو مستودع أسرار جمهوره يأتمنونه على فتواهم، ويفضون إليه بأخص خصائص مشاكلهم، ويبوحون إليه بمكنون أسرارهم، وهم يشعرون بالرضا والاطمئنان:

﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾(٣).

---

(١) جـ٥ ص٣٨٨ ط: بيروت من المرجع السابق.

(٢) جـ٦ ص٤٣١ فيض القدير.

(٣) النساء: ١١٤.

١١ ـ وعلاوة على ما قدمناه، فإنه يشارك الناس فى أفراحهم وأحزانهم، يزور مرضاهم، ويشيع موتاهم، وهو راضى النفس؛ لأنه يشعر أنه صاحب رسالة، والفضل لله أن هداه لذلك الخير، ويَسَّرَهُ له، وقَوَّاه على القيام به. وهكذا يستطيع الداعية بلباقته أن يربط بين القضايا الفكرية، وسوف يقابل بمشاكل عديدة من المنحرفين والمارقين والمفسدين، فهو عليه أن يتحلى بالصبر والحلم وطول البال ولا يتضجر، بل يفوض أمره لله؛ لأنه ستُقدَّمُ فيه الشكوى المجهولة، ويقال عنه من أهل السوء ما ليس فيه، لكن حسبه قول القائل:

وإذا أتَتْكَ مَذَمَّتِى مِنْ نَاقِصٍ

فهى الشَّهادَةُ لى بِأَنِّى كَامِلُ

وله فى رسول الله ﷺ القدوة الحسنة؛ فلقد صبر على أذى المشركين برغم كثرة إيذائهم له، وكان يدعو لهم بالخير لعل الله يهديهم.

المنبر والداعية:

ثم إن المنبر الذى يعتليه الداعية ما هو إلاَّ مرآة لما حوى الإسلام من معرفة صالحة، وتربية واعية، وموصل جيد لتعاليم الإسلام، وخطبة الجمعة من شعائر الإسلام، ومعانيها تنساب إلى النفوس فى لحظات انعطاف إلى الله وشفافية روح، وخلو من مشاغل الدنيا. والإنسان فى تلك اللحظات يتقبل وصايا الرحمن؛ لأنها تنير له الطريق، وتعينه على حل المشاكل فى الحياة،

وتوجيهات الداعية مستمدة من كتاب الله وسنة رسوله، وآثار السلف الصالح، مع ربط ذلك بالمشاكل اليومية، وكيف تحل بروح الإسلام ووفق منهجه؛ لأن القرآن الكريم شفاء للعلل الاجتماعية الشائعة، والداعية هو الذى يُشَخِّصُ الداء الاجتماعى الذى شاع فى البيئة، ويتعرف على حقيقته، وعندما يستبين له أمره وخطره يرجع إلى كتاب ربه وسُنة نبيه وهدى سلفه، ليحدد الملامح، ويصف العلاج الذى يقدمه للجمهور.. وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[1]. فإن النجاح بإذن الله حليفه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾[2].

وهو يربى جمهوره على التربية الدينية التى تقوم على جوانب خلقية واجتماعية ويشرح لهم ما يقترن بالخير من معان حسنة وعواقب حميدة، وما يترتب عليه من آثار طيبة فى الدنيا والآخرة وما يقترن بالشر من معان سيئة وعواقب ذميمة، وما يترتب على ذلك من عواقب وخيمة فى الدنيا والآخرة، وهو يتعرض لذكر نماذج من التاريخ تدل على أمجاد المسلمين من النواحى الثقافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية مع مقارنة لنماذج سيئة وبيان العاقبة، ويبين ما شاده المسلمون من حضارة عظيمة ينابيعها تفجرت من الحركة العقلية التى أحدثها القرآن الكريم، واليقظة

---

(١) الإسراء ـ من الآية: ٨٢.

(٢) فُصِّلَتْ ـ من الآية. ٣٣..

الإنسانية التى صنعها الرسول ﷺ، والتأسى بالآباء والأجداد الذين أسهموا فى صنع الحضارة العظيمة التى استظل العالم بها وأمن الكل تحت رايتها؛ لما لها من أثر عظيم فى خدمة الإنسانية والنهوض بها؛ لذلك يتنوع حديث الداعية ويتجدد فكره، فهو كالمرآة، يرى الجمهور نفسه على حقيقته فيها، ويقرأ خواطره التى لا يستطيع التعبير عنها من كلماته التى لها خطرها، فعليه أن يجعل لسانه وراء عقله، ويرتب أفكاره مع وحدة الموضوع؛ لتكون الاستفادة أنفع وأعم.

إن الداعية يعرض فكره على الجمهور بين الحين والحين، فهو يجدد معلوماته وينوع ثقافته؛ لأنه يخاطب أعلى المستويات فكرا، وأقلهم ثقافة، ويجمع بين الشاب والشيخ فى الحديث، ينير الطريق امام الجميع بلا استثناء، الرجل والمرأة، مهما كانت ظروف المجتمع، فهو يشد الجميع بجميل عباراته، ويُؤصِّل فيهم القيم الأخلاقية، ويجدد معانى الولاء لله والدين وللأمة التى يحيا وسطها، والوطن الذى يعيش على أرضه وينعم بخيره.

إن الداعية فى أثناء حديثه يتابع وجوه مستمعيه، ويتعرف على مدى تقبلهم لحديثه؛ لذلك يقتصر أحياناً ويطيل فى غير خطبة الجمعة حينًا؛ لأن له من فراسته ونباهته ما يجعله يدرك ماذا يريد الجمهور.

إن سلفنا الصالح عرف الجهد العظيم للداعية؛ لذلك أحاطوه بالرعاية الاجتماعية وأضفوا عليه الأمن وهيئوا له جو الاستقرار؛

حتى يتفرغ لدعوته، ويبحث فى أعماق التاريخ، ويقيم جسراً من اللقاء بين الماضى والحاضر، فى حديث يتسم بالانسجام، ويتقبله الجميع؛ لأنه يصل إلى القلب بعد أن خرج من القلب.

أعظم ثروة:

إذا كان هناك ثروة عظيمة تعتز بها الأمة وتفخر بها وتباهى غيرها من الأمم فإن الدعاة إلى الله هم هذه الثروة، وأحسن للأمة من ملايين البلايين من الأموال التى تنفق وتضيع، أما الدعاة فإنهم يعملون بكل طاقتهم لتربية الأشخاص، وتهذيب الوجدان، وترقيق الحواس، وتنمية الضمير، والإنسان بهذه الصورة هو الثروة الحقيقية؛ لأنه صانع الحضارة، فإن أحسن تربيته كان هو القوة العظيمة التى ترتكز عليها الأمة صعوداً إلى المجد، كل ذلك ليتم الأخذ بيد الإنسانية؛ لتسير على الطريق المستقيم وتبعد عن الانحرافات، وتكشف أمام الأعين المصير العظيم للجادين وغير ذلك للمسيئين، وتنبه الناس إلى أنهم فى يوم آت لا ريب فيه سيقفون أمام ربهم للحساب على ما صنعت أيديهم، وفى هذا اليوم تتكشف السرائر، ويقال لكل إنسان:

﴿ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ ﴾[1].

والإنسان إذا ما عرف أنه سيحاسب على عمله ويجازى على فعله وأنَّ كل صغيرة وكبيرة ستوضع فى ميزان بحق وعدل،

---

(١) الإسراء ـ من الآية: ١٤.

وسوف يأخذ الإنسان جزاءه العادل على ذلك، إذا عرف هذا، فإنه سيجود عمله ويحسن صنعته، ويتعامل مع الناس بالإخلاص والصدق؛ ليحصل الجزاء الطيب الذى أعده الله للمؤمنين الصادقين ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ ﴿٦٠﴾ ﴾[1]. ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾[2].

إنه سيبتعد عن فعل الشر ويسارع إلى فعل الخير، وبهذا تُصان المجتمعات، وإنَّ ما نراه اليوم من انحرافات خلقية وسلبية فى الأداء، وهتك للأعراض، وقتل الأبرياء، سبب ذلك كله غياب الداعية عن الساحة الجماهيرية، وضعف صوته الذى لا يكاد يُسْمَع وسط أصوات الحياة الصاخبة اللاهية، ومرد ذلك عدم الرعاية الاجتماعية للدعاة الذين هم ثروة الأمة الحقيقية؛ لأن الأمة لم تستطع تنمية تلك الثروة وإعطاءَها الرعاية الكاملة كى تنهض بأداء الواجب الذى عليها؛ لأن الدين هو صمام الأمن فى حياة الأمم، وغيابه يجعل الحياة سعيراً لا تطاق، وصدق القائل:

إِذَا الإِيمَانُ ضَاعَ فَلاَ أَمَان ... وَلا دُنْيَا لِمَنْ لَمْ يُحْيِ دِينَا

وَمَنْ رَضِيَ الحَيَاةَ بِغَيْرِ دِينٍ ... فَقَدْ جَعَلَ الفَنَاءَ لَهَا قَرِينَا

واليوم ـ وقد قلنا فيما سبق بأن مكان الداعية هو المسجد، أو أى مكان يتجمع فيه الجمهور، كقصور الثقافة ونوادى الشباب،

---

(١) الرحمن: ٦٠.

(٢) الرحمن: ٤٦..

والنقابات، والجامعات، وغيرها، علاوة على وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية - فإن الداعية يبلغ دعوته بالأسلوب الأمثل، والحكمة والموعظة الحسنة، فى أى مكان، وفى أى وقت؛ لأن الدعوة إلى الله ذكر لله، وتذكير للناس، والداعية مُطالَبٌ بذلك فى أى وقت، وعلى أى حال: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾﴾[1]. . .
﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾[2].

---

(١) آل عمران: ١٩١.

(٢) الذاريات: ٥٥.

الإعـلام الإسـلامـى

يهدف الإعلام الإسلامى إلى ترسيخ القيم الدينية، وتنمية الضمير لمراقبة الله عز وجل، وحُسْن الجوار مع الناس، وأداء الأمانة، ثم يكون هناك تأصيل من جانب هذا الإعلام على القيم الأصيلة المنبثقة من هدى الله وتوجيه الأنبياء؛ لأن الله عندما أرسلهم إلى البشرية كانوا رجال إعلام من الطراز الأول، المتميز بصدق الكلمة، وعفة اللسان، ونزاهة المقصد، وحسن الأداء، مع الفطنة والنباهة، وسرعة البديهة، والدقة فى التعبير.

وكان أنبياء الله يتميزون فى المجتمع بصفاء القلب، ونقاء السريرة، وعدم حبس أى معلومة عن الجمهور، مع الدقة فى تبليغها؛ لهذا أمرنا الله عز وجل أن نقتدى بهم، فقال سبحانه وتعالى ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ (١).

وإن ما يجرى على الساحة الآن، من خلخلة فكرية وتردد فى قبول الأخبار مرده يرجع إلى أن بعض الشخصيات الإعلامية لم تلتزم بصدق الحديث، وإتقان العبارة، وإبراز الحقيقة على وجهها الصحيح.. من هنا بدأ البعض يشكك فى الإعلام ووسائله، فأردنا أن نبرز ما هو الإعلام الدينى، وما هو دوره؛ ليعرف الناس أن الخير موجود، وأن الصدق متوافر بيقين بين الأمة الإسلامية التى هى خير أمة أخرجت للناس.

---

(٣) الأنعام ـ من الآية: ٩٠.

الهدف من الإعلام الإسلامى:

يتحقق الهدف الإعلامى عند توصيل معلومات من المرسل إلى المستقبل، فإذا كانت الفكرة واضحة مفهومة مدروسة على ضوء العوامل الاجتماعية والبيئية، فإن لذلك أثره على المُتَلَقِّى، مع ملاحظة أن المجتمع الإنسانى يعيش فى ثورة اتصال إعلامى نتج عنه تأثير مباشر على الفرد والجماعة، وذلك لأن البث الإعلامى لا يتوقف لحظة من ليل أو نهار، فالإذاعة لا تتوقف عن البث، والصحف والمجلات، والملصقات فى الشوارع والميادين، لا تنقطع عن الإصدار، وحديث الصاحب لصاحبه، والتليفزيون والسينما والمسرح والندوات العامة، والمحاضرات فى الأندية والمحافل.

كل ذلك له تأثير فى اتجاه رأى الفرد والمجموع، وعندما نقف أمام هذا الحشد، يتبين لنا أن الإعلام هو:

١ ـ شخصية المرسل (المتحدث، أو الكاتب، أو الخطيب، أو المحاضر، أو الممثل).

٢ ـ موضوع الفكرة (اجتماعية، أو دينية، أو وطنية، أو سياسية، أو اقتصادية، أو عسكرية، أو زراعية، أو صناعية، أو تاريخية، أو غير ذلك).

٣ ـ شخصية المستقبل (سواء كان فردا، أو جماعة، أو شعبا).

والمفروض أن تتميز شخصية المرسل بالصدق فى دعوته، والإيمان بما يدعو إليه، وأن يكون محترما بين من يتحدث إليهم، وأن يكون موضع ثقتهم.

ولنا فى رجل الإعلام الأول، والداعية الأعظم، نبى الله ورسوله، سيدنا محمد ﷺ ـ القدوة والمثل الأعلى، فلقد عرض عليه المشركون المال والجاه والرئاسة وزينة الحياة الدنيا كلها بشرط واحد: هو أن يتخلى عن دعوته!!! فماذا كانَ رده عليه الصلاة والسلام؟ لقد قال كلمات خالدة، لابد أن نضعها أمام أعيننا: «والله لَوْ وَضَعُوا الشَمْسَ فى يَمِينِى والقَمَرَ فى يَسَارى، عَلَى أنْ أترُكَ هَذَا الأمْرَ مَا تَرَكْتُه حَتَّى يُظْهِرَهُ الله أوْ أَهْلكَ دُونَه».

كما أن صاحب الدعوة لا يظمأ أبدا، ولا ييئس، ولا يقنط، حتى ولو رأى الفساد هنا وهناك، وحامل راية الحق سيدنا محمد ﷺ المثل الرائد، والنموذج الفريد، عندما تعرض لأذى أهل الطائف، بعد أن تحمل ما أصابه من الأذى الذى ألحقه به المشركون على أيدى سفهائهم، ماذا كان منه؟ إنه جلس وتطلع إلى السماء وقال وهو يناجى ربه «اللهم إليك أشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى، وهوانى على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت ربى ورب المستضعفين، إلى من تكلنى؟ إلى بعيد يتجهمنى أو إلى عدو ملكته أمرى؟ إن لم يكن بك غضب على فلا أبالى».

كما أن على صاحب الدعوة أن يتميز بسعة الصدر، والعفو عن المسيء إليه، مع الإحسان إن استطاع ذلك؛ لما قيل: «اتق شر من أحسنت إليه بزيادة الإحسان إليه»، ولقد وصف الله نبيه المصطفى ﷺ بقوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ

فى الأمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ﴾ (١). وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ (٢).

أما الثالثة، فإنه يستثير العقل، فعلى المتحدث أن يسوق الأدلة الواضحة البينة حتى يقتنع المستمع بالفكرة، ويعكس ذلك التأثير عليه فى سلوكه، وبالتالى يكون تأثيره فى المجتمع عن اقتناع.

إن الإعلامى الناجح هو الذى يراجع جمهوره بين الحين والحين، يُذَكِّرُهُمْ، ويتابعهم، حتى تترسخ الفكرة فى عقولهم، ويلاحقهم بتجديد أسلوبه، وابتكار عباراته، ووضوح رأيه، ثم يكرر طرح الفكرة فى مناسبات مختلفة، وبأسلوب يناسب الموقف؛ لأنه «لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَال»، ولأنه يهدف إلى غرض معين وهدف واضح، فهو يلاحق جمهوره؛ ليحصل على النتائج المرجوة من حديثه.

أما الفكرة، فتكون واضحة مفهومة، ولكى يتحقق هذا، فلابد أن يدرس الموضوع علميًا بعد التعرف على اتجاهات الرأى العام؛ ليتلاءم الموضوع مع حاجة الجماهير، حتى يكون هناك استجابة منهم، وعند عرض الفكرة يلاحظ أن تكون متفقة فى مضمونها، متمشية مع أفكار المجتمع؛ ليتفهمها القوم، مع مواءمتها للأفكار التى يعتنقها المستقبلون للرسالة الإعلامية، وملاحظة ثقافتهم، والتقاليد السائدة فى المجتمع.

---

(١) آل عمران ـ من الآية: ١٥٩.

(٢) القلم: ٤.

ويلاحظ الخطيب أو الكاتب مختلف المؤثرات الحسية والنفسية والعقلية؛ لأنه فى الأولى يستثير العواطف والأحاسيس الطبيعية، فيمن يتحدث إليهم، وفى الثانية، فإنه يخاطب فى القوم الظاهر والباطن أو الشعور واللاشعور، وأثر الحديث ينعكس على وجوه القوم، ويظهر منهم الانفعال أو عدمه، وعلى هذا، يجب مراعاة هذه الجوانب؛ لأنها مهمة جداً حتى لا يكون المرسل فى وادٍ والمستقبلون فى وادٍ آخر.

الرأى العام الإسلامى:

الشخص له فكر قد يظهر فى كلامه، ويعلنه للناس، وقد يخفيه، فيعتمل فى نفسه، ولكن يظهره إذا سنحت الفرصة له بالتعبير. كذلك يكون هناك رأى لمجموعة من الناس فى قضية معينة: سياسية، أو زراعية، أو اجتماعية، أو دينية، أو وطنية، وغير ذلك من الآراء، وتدور مناقشات يشترك فيها الكل، ويتفق الأغلب على رأى معين، ويسود هذا الرأى الذى يتفق مع المعتقدات العامة السائدة فى البيئة، ويكون هذا رأياً عامًا مقبولاً.

وهناك كذلك الرأى الذى يثار عن طريق القيادة وله دعاية ومؤثرات، حتى يقوم بدور أساسى فى مساندة رأى القيادة؛ ليكون النجاح للفكرة التى تدعو إليها، وتجذب إليها الناس، فيكون له سُلطة تبث روح التعاون بين المواطنين، وتحدث التقارب بين فئات الشعب، ويكون من وراء ذلك رفع الروح المعنوية بين الناس، ورعاية القيم الأخلاقية، وتأمين مصالح الشعب؛ لأن الرأى العام له سلطة يؤدى بها دوراً خطيراً ومستمراً فى صيانة

المُثُل العليا؛ ولذا نلحظ أنه فى حال كبت الرأى العام، يظهر السخط، ويكون الناس غير راضين، ويتندرون وتظهر النكات التى تعبر عن مكنون الاتجاه العام والرأى الباطنى المكبوت، ويكون ذلك فى عصور الاستبداد أو حكم الفرد وتسلطه.

وفى عصور الحرية، تعبر الجماهير عن رأيها بالوسائل المختلفة، ويظهر رفض الرأى العام لأى قضية مطروحة لا تجد القبول عند الجماهير بالسلبية واللامبالاة؛ لأنها تختلف عن معتقداته، أو لأنها لا تهم المصلحة العامة، لذلك فهو لا يؤديها.

ثم هناك رأى عام مؤقت، يكون بسبب مشكلة طارئة، تختلف عن معتقدات الناس، وأفكار المجتمع، مثل حالات العنف التى تتمثل فى الغضب على جماعة تنسف طائرة، أو تخطفها، أو تغرق باخرة عليها الآلاف من الناس لا ذنب لهم، أو الذين يخطفون السلاسل الذهبية من النساء، فيتكون رأى عام نتيجة التعاطف أو السخط، لكنه مؤقت يزول باختفاء الحدث وآثاره.

نحن إذن أمام اتجاهات متعددة للرأى العام الذى يتكون نتيجة لعناصر كثيرة، هى مقوماته، وذلك مثل:

١ ـ البيئة. ٢ ـ الطبيعة الاجتماعية. ٣ ـ الثقافة.

ثم هناك مؤثرات أهمها:

١ ـ الدين. ٢ ـ الأسرة. ٣ ـ المدرسة والصحبة.

٤ ـ التجارب. ٥ ـ الظروف الوقتية.

إن الله سبحانه كَرَّمَ الإنسان وفَضَّلَهُ على كثير من خلقه، إلا أنه مع ذلك يتأثر سلوكه الاجتماعى نتيجة تأثره بمؤثرات داخلية، من أعماقه؛ لأنه هو معقد التركيب، متغير المزاج، سريع الانفعال.

والإعلامى الناجح هو الذى لا يصادم عواطف الجمهور، ولا يكبت غرائزه، ولا يميت أحاسيسه، وإنما يهذب سلوكه، ويرقق العواطف، ويبرز أسمى ما فى الإنسان من خصائص؛ لأن وسائل الإعلام بتأثيرها على الشخص، تحدث مؤثرات معينة على عقله، وذلك حسب هدفها؛ لأنها تفرض عليه نوعا من الاستسلام العقلى حتى يصبح مستعدا لقبول إيحاءاتها بما تريد أن تمليه عليه وتتحكم فى توجيهه، وهذا ما يسمى (بغسيل المخ)، لأن الشخص وقع تحت التأثير.

لهذا فإن إعادة تشكيل عقلية الفرد وتصحيح منهجه وترتيب آرائه، وربطه بالقيم العالية والمُثُل الرائدة، يتطلب فرض مؤثرات معينة على عقل الشخص، مع إعادة تعليمه وتذكيره بماضى، الآباء والأمهات، وسيكون هناك صراع بين ما تلقنه من الوسائل الأخرى، وبين ما يسمعه من فوق المنبر مؤيدا من القرآن والسنة، مع ملاحقته ومتابعته بالتكرار، فلذلك تأثير مباشر يكون من ورائه سرعة الاستجابة وردود فعل فى أعماقه، وذلك يتم فى جو طاهر، ونفس طيبة، وحكمة عظيمة وموعظة رقيقة بليغة بعيدة

عن الانفعالات والكبت، بكل يسر وسهولة، ووضوح تام، وأدلة بينة، ولكل أثره الطيب فى القبول والتغيير والتعديل.

وعلى هذا، يجب أن تكون المادة العلمية قد صيغت بأسلوب علمى حتى يستقبلها عقل المتلقى بالقبول، ويقتنع بها ويعمل بتوجيهاتها، ويصبح سلوكه متأثرا بها، ولكى يصل إلى هذا فإنه يتخذ الوسائل العلمية الحديثة مطية له؛ لتساعده على جذب الجماهير ويؤثر فيهم مع تجديد المعلومة وإكسابها مزيدا من الحيوية، وهذا يتطلب منه كثرة القراءة والتأمل والاستنباط.

إن الرأى العام ما هو إلا نتيجة حتمية لتوجيه صادر من شخص موثوق به، مع إيمانه هو بما يوجهه وقوة الدليل الذى يسوقه ومواءمه الرأى لأحاسيس المستمعين؛ ولذلك وَجَّهَ الرسول ﷺ سؤالا للناس الذين اجتمعوا حوله عندما طُولِبَ بأنْ يَصْدَعَ بالرأى، ويعلن عن عودته، ويكشف المستور من أفكاره، فلما صعد على الصفا، ونادى على بطون القبائل سألهم: «لو أخبرتكم أن خيلا بالوادى تريد أن تغير عليكم أكنتم مُصَدِّقِيَّ؟ قالوا: نعم، ما جربنا عليك كذبا قط.

فلو لم يكن هكذا ما قالوا ذلك، لكن الفضل ما شهدت به الأعداء؛ ولهذا نجد أن المشركين ـ برغم أنهم أنكروا الرسالة الإسلامية، وحاربوها ـ فإنهم لم يكذبوا الرسول ﷺ؛ لأنهم لم يجربوا عليه كذبا، ومن هنا قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿قَدْ

نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[١].

دور الإعلام الدينى فى التنمية الاجتماعية:

المراد بالتنمية طلب الزيادة والبركة؛ ذلك لأن التنمية إدراك حقيقى للدور الذى يجب أن ينهض به الإنسان؛ ليؤدى الدور الاجتماعى المُلْقَى على عاتقه فى الحياة.

والدور الأساسى للتنمية هو الزمن، الذى هو نعمة من الله، حيث جعله شرطاً أساسياً للتنمية، إذ يقول سبحانه:

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ ﴾[٢].

ويقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ ﴾[٣].

إن الذين يريدون التنمية الحقيقية للأمة، عليهم أن يوجهوا الناس للحركة اليومية التى تبدأ من أول شعاع الضوء، ويبدأ التسابق مع الزمن لإثبات قدرات الأمة ونهوضها فى استخراج كنوز الأرض وخيراتها، فإن الأرض التى ذللها الله لعباده وجعلها

---

(١) الأنعام: ٣٣.

(٢) يونس: ٥.

(٣) الفرقان: ٦٢.

ميدانا للتسابق الحركي أمرهم ـ سبحانه ـ بالسعي في مناكبها في قوله عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾(١).

ويقول الرسول ﷺ في الحديث النبوى: «لا تَزُولُ قَدَمَا الْعَبْد يَوْمَ القِيَامَة حَتَّى يُسْأل عَنْ أربَع: عَنْ عُمْرِه فيم أفْنَاهُ؟ وعَنْ شَبَابه فيمَ أبْلاَهُ؟ وعَنْ مَاله منْ أيْنَ اكْتَسَبَهُ؟ وفيمَ أنْفَقَهُ؟ وعَنْ علْمه مَاذَا عَملَ به؟». وقد جاء بالأثر: «مَا منْ يَوم يَنْشَقُّ فَجْرُهُ إلاَ ومناد ينادى: يَابْنَ آدَمَ، أنا خَلْقٌ جديدٌ، وعَلَى عَمَلكَ شَهيدٌ، فَتَزَوَّدْ منِّى بعَمَلٍ صَالحٍ فَإنِّى لا أعُودُ عَلَيْكَ إلى يَوْمَ القِيَامَة».

إن حركة التنمية تبدأ من طلوع الفجر، حيث يستيقظ الناس عند سماعهم للنداء الإلهى، الذى يوقظ النائمين عند سماعهم «الصلاة خير من النوم»، ثم يتحرك موكب العاملين بعد أن وقفوا بين يدى ربهم خاشعين يسألونه العون والمدد حتى يتغلبوا على صعاب الحياة، ثم يتوجهون إلى مراكز التدريب والعمل والإنتاج، كلٌ في موقعه، يُجَوِّدُ صنعته، ويتقن عمله، ويبتكر فى أسلوب الأداء، وقول ربهم يرن فى آذانهم: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾(٢).

إن التنمية الحقيقية هى أن نربى الإنسان على الفضائل والقيم؛ لأن الشخص هو اللبنة الأولى فى بناء المجتمع، إذا صلحت

---

(١) الملك: ١٥.

(٢) التوبة ـ من الآية: ١٠٥.

صلح المجتمع، وإذا فسدت فسد المجتمع، فالإنسان إذا صقلت مواهبه، واتجه إلى العمل بهمة ونشاط، فإنه سيحقق الخير لنفسه، والرفاهية لأسرته، والاستقرار لمجتمعه، وهذه هى التنمية الحقيقية التى توجد الأمن والهدوء فى المجتمع الإنسانى.

إن الإنسان قَدْرُهُ عظيم، ودوره فى المجتمع خطير؛ لذلك على الأجيال أن تحافظ على تراثها؛ لأنه ميراث المجتمع، يأخذون منه، ويستفيدون من فكر السابقين، وبهذا يتواصل موكب البشرية، وينمو الخير فى جنبات المجتمع،

إن سعى الناس جميعا فى الأرض، يقصد منه الحصول على الرزق الوافر والخير الكثير، والإنسان بفطرته السليمة، ينقاد لتعاليم الإسلام، ويجد فى تطبيقها راحة البال وبركة الرزق وهدوء النفس.

وبما أن المساجد فى الأرض هى بيوت الله، التى يتعلم المسلم فيها معانى الإسلام وآدابه، وأوامره ونواهيه، فضلا عن كونها الأماكن التى تقام فيها فريضة الصلاة التى هى الركن المُعْلَن من أركان الإسلام، وفيها يكون التدريب العملى على العمل فى ميادين الحياة المادية، مع الرقيفى مدارج الكمال النفسى والروحى؛ ليكون وسيلة إلى العمل فى ميادين الحياة المادية بنفس الروح التى يكون عليها المسلم وهو بين يدى ربه، ووسط إخوانه فى صلاة الجماعة، وبما أن المسجد له رسالة عظمى يقوم بها من حيث إنه المكان الطيب الذى يلتقى فيه أبناء الحى على ذكر الله،

وقد صفت القلوب، وتطهرت النفوس ـ وعاشت الأجساد خاشعة خاضعة لله رب العالمين، فإن دور الإمام الذى يوجه رُوَّاد المسجد لتنمية المجتمع هو التجسيد لرسالة المسجد، وهى:

١ ـ تقوية الصلة بالله عن طريق الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والتعاون على البر والتقوى.

٢ ـ ربط الجماهير المسلمة برباط المحبة والتعاون على الخير، وذلك بصلاة الجماعة.

٣ ـ دفعهم إلى اتقان العمل والإنتاج، عن طريق العظة التى تقدم فى المسجد.

ومن هنا، وجب أن يتصف الإمام بما يأتى:

١ ـ قوة الصلة بالله؛ ليكون قدوة صالحة لغيره.

٢ ـ أن يقصد بما يقدمه وجه الله والدار الآخرة، وأن يكون بعيداً عن الرياء والمجاملة فى الحق، وأن يكون زاهداً فى مدح الناس وثنائهم.

٣ ـ أن يكون دائم الصلة بالأصلين الأساسيين، والينبوعين الصافيين «كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ» دراسة وتأملاً، واستنباطاً، وعملاً، يستمد من نورهما ما يكشف له كوامن النفس الإنسانية؛ ليقودها برفق لتقف عند حدودها.

٤ ـ أن يكون دقيق الفهم، وَاسعَ الاطلاع، محيطاً بالبيئة التى يعيش فيها إحاطة تامة على علم باحوالها، وظروفها، والتيارات والتحديات التى تتعرض لها والافكار السائدة فيها.

٥ ـ أن يدرس التاريخ الإسلامى والإنسانى، دراسة واعية، وأن يكون مُلِمًّا بقسط كبير من علوم الكون والحياة.

٦ ـ أن يكون صاحب ثروة كبيرة من النصوص الدينية واللغة العربية وحبذا أن يكون مُلِمًّا ببعض اللغات الأجنبية؛ ليتمكن من الاطلاع على ما يكتبه الأصدقاء والأعداء عن الإسلام، ويتمكن من إفهام وإقناع من يتكلم إليهم بالعربية أو بغيرها، مسلمين أو غير مسلمين.

٧ ـ أن يكون على مستوى المسئولية والكفاية العلمية، حتى يستطيع أن يعالج الأمراض الاجتماعية وما يعرض له من المسائل اليومية بالحجة القوية، والأسلوب المقنع.

٨ ـ أن يكون ذا خُلُق كريم، وسلوك مستقيم؛ ليكون محبوباً لقومه، فيؤمنوا عن صدق، بما يقول، ويستجيبوا لما يرشدهم إليه.

٩ ـ أن يكون حليما صبوراً، حريصاً على إفادة أهل منطقته، وتنوير بصائرهم.

١٠ ـ أن يزهد فيما عند الناس، ويقنع بما أعطاه الله، حتى يكون عزيزا بينهم، وأهلاً لاحترامهم ومودتهم، بعيداً عن التعرض لإهانتهم.

١١ ـ أن يكون حسن التلاوة لكتاب الله، عالماً بأحكام التجويد.

١٢ ـ أن يكون حسن المظهر، فى زى يتسم بالوقار، وسمة تتسم بالجلال.

تلك بعض الصفات التى يجب أن يتحلى بها ويتصف شخص الداعية الدينى، إذا أردنا أن يكون له دور فى أى مجال من مجالات الحياة، فإذا ما كان على هذا المستوى، فإن دوره فى التنمية الاجتماعية سيكون أساسياً، ومثمراً، ذلك:

ـ لأنه يدعو إلى العمل والنظافة، وإلى إصلاح ذات البين، وإلى الإنفاق فى سبيل الله، بمعناه الواسع الذى يدخل فيه تعبيد الطرق وإنشاء المستشفيات الخيرية والمساجد والمعاهد التعليمية، والأندية، والمصانع، والجمعيات الخيرية التى تقوم على رعاية الفقراء والمساكين والمحتاجين، وكل ما فيه خير للبيئة التى يقع فى محيطها المسجد، وما فيه خير للمجتمع.

ـ ولأنه يدعو إلى التعاون على البر والتقوى، فينهض المجتمع، بتحمل أفراده للأعباء والشعور بالواجب، فتدور عجلة الإنتاج، ويبتعد المسرف عن إسرافه، والمدمن عن إدمانه؛ حفاظاً على صحته التى هى صحة المجتمع فى النهاية.

ـ ولأنه يحرص على زيارة الجمعيات الزراعية ،والأندية الشبابية، والمصانع الإنتاجية، والمستشفيات العلاجية؛ ليسمع الجميع كلمة الله، فينشط الزارع، ويجدّ العامل، ويهتدى الشباب، ويصح المريض، وكل ذلك تنمية للمجتمع فى جميع مجالاته، وبشتى طوائفه.

إن الإمام الناجح فى رسالته، يُصحح مسار المجتمع الذى يعيش فيه، ويدفعه بالكلمة الطيبة إلى التنمية فى ذاته، وفى مجتمعه، انطلاقا من الشعور بالمسئولية الجماعية التى نبه الحق إليها فى قوله سبحانه: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾(١) .

كما أن الإمام الصالح يدعو بما دعا به الصالحون من قبل مصداقا لقول الحق: ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾(٢) .

رسالة الإعلام الدينى:

تتردد على الألسنة حكمة قديمة تقول: «إذا لم يسمعك أحد فأنت لم تقل شيئا»، ولما كان مجتمعنا اليوم يُطلق عليه تأدباً «من الدول النامية»، لما يعانيه من مشاكل التخلف الثقافى والاجتماعى والزراعى، فإن المأمول أن يكون المنبر جهاز إعلام لتنمية القدرات والمواهب، وأن يتجه برسالته ـ كما كان فى صدر الإسلام ـ إلى خلق المواطن الصالح، باعتباره مؤثرا فى الحركة الاجتماعية، والعمل الزراعى؛ لأن التنمية بكل أبعادها، تعتمد على الإنسان الذى يصدق ربه ويؤدى حقه، وأن يكون هدف الإعلام الدينى هو التغيير فى سلوك الفرد المسلم، من شخص كسول إلى إنسان نَشِط، وأن يثير فيه الحماسة؛ ليبرز قدراته، ويقدم عملاً صالحاً فى جسم هذه الأمة، وذلك إيمانا وتصديقا بقول الحق عز

---

(١) التوبة ـ من الآية : ١٠٥.

(٢) الفرقان ـ من الآية: ٧٤.

وجل: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾[1] .

إن المنبر هو الذى يبنى الشخصية بناء متكاملا عقليًا، وسلوكيًا، وأخلاقيًا، ويحرره من الخوف الذى يعوق قدراته؛ لينطلق بكافة طاقاته ليُسهم فى بناء حياة أفضل، وهو يؤمن أن عمله لن يضيع سُدىً، فإن الله هو الحسيب الرقيب؛ لأننا لن نجد إعلاماً صحيحاً وناجحاً كما هو الحال مع المنبر؛ لأنه يعمل على إيجاد حياة أفضل، وينير الطريق، ويحدد المفاهيم، ويقتلع الأخلاق الفاسدة من أعماق الشخص، ويغرس مكانها القيم الفاضلة، والأخلاق العالية؛ لأن رسالته مستمدة من هدى الله وتوجيهات نبيه الكريم.

إن المنبر يخاطب الناس على قَدْرِ عُقولهم، وبأسلوب حكيم، يبين للناس الحلال والحرام، والخطيب برؤيته، إن ثبت له أن أمراً من أمور الدنيا لا يستقيم صالح المسلمين إلا باتباعه، بين لهم أن هذا الأمر ينتقل من حد الإباحة إلى حد الوجوب، استنادا إلى القاعدة الفقهية (المصلحة المرسلة)، وكذلك (درء المفاسد مقدم على جلب المصالح).

وإذا كان المسلمون يجذبهم قول الله، وقول الرسول الذى يقدم لهم بطريقة هادفة وأسلوب مبسط حتى تسمو روح المسلم،

---

(١) الكهف ـ من الآية: ١١٠.

وتظهر قدراته وطاقاته، مع تنمية عقله، وترقيق مشاعره، فإنه هو الأصل الذى يقدم، مصداقا لقول الحق عز وجل: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩١)﴾[(١)] .

إن أجهزة الإعلام التى تحاول طمس الحقائق الخلقية، اعتمدت على الذين خططوا لضرب الإسلام وإضعاف المسلمين بأساليب متنوعة تظهر أحياناً فى الإذاعات والسينما والتليفزيون، بالأغانى الهابطة، والدراما غير البناءة، والمسرحيات التى تطمس الحقائق، وتحرك الغرائز، كذلك الصحف والمجلات التى تسلك هذا المسلك، فإن كل ذلك لم يستطع فى يوم من الأيام أن يطمس دور المنبر وأثره، والمسجد ورسالته؛ لأن هناك فرقاً كبيراً بين ما ينبع من دين الله، وبين ما ينبع من أحاسيس تستهدف طمس الحقائق وضرب الفضائل، ذلك لأن وسائل الاتصال الحديثة، قد استخدمت بمهارة الدعاية لأمور أقل شأناً من الدين، وخططت بنجاح فائق وبأساليب متنوعة؛ وبسبب ذلك أحدثت تأثيراً قويًا لتغيير القيم والاتجاهات، وإن حاولت فى يوم من الأيام، استخدام هذه الوسائل فى الدعوة إلى الدين، فإن القصور يشوبها، بسبب الخلخلة الفكرية التى تبرز القصور، والخلافات التى تؤدى إلى إظهار عجز الدين فى معالجة المشاكل ومواكبة العصر على حسب ما يؤمنون، والغرض من ذلك أنها تريد أن

---

(١) النمل: ٩١.

تعصف بالشباب، وأن تفرق الجميع، وأن تقضى على كل المعلومات الخلقية والاجتماعية والاقتصادية، وهم كذلك يحاولون إبراز بعض أتباع الدين على أنهم شخصيات دموية المزاج، وفى مسلكهم شراسة.

لكل ذلك، كان لابد للمنبر أن يأخذ دوره الإيجابى، وأن يتطور فى الأسلوب مع قضايا المجتمع، مع إظهار الجوانب الخلقية والاجتماعية فى الإسلام، ولقد سبق لى فى السبعينيات أن طالبت بإنتاج أفلام سينمائية، وتخصيص مساحات أكبر فى برامج الإذاعة والتليفزيون لشرح أسس الإسلام، وتعاليم الدين، وبكل اللغات الحية، وعرضها بثمن زهيد لتكون فى متناول الأيدى ويا ليت اصحاب المال يسارعون ويعملون فهذا سلاح العصر ولغة الوقت.

إن عظمة الرسالة الإسلامية، أنها التحمت بالمجتمع، وتفاعلت مع الكون، وانصهرت مع الجميع فى بوتقة الكيان الذاتى، فأثبت المسلمون وجودهم، وقدموا للعالم مدنية مزدهرة، وكانوا مصدر إشعاع للبناء الاجتماعى، لكن الزمن كشر عن أنيابه للمسلمين يوم أن تركوا تعاليم دينهم، وعزلوا الدنيا عن الدين، كما فعلت أوروبا يوم أن قام الناس هناك بثورة ضد الكنيسة التى أرهقتهم، وكبتت شعورهم، وأماتت أحاسيسهم، فكان نفس الهدف الذى طرحوه على الساحة الإسلامية، فكان من نتيجة ذلك، أن تغير العالم الإسلامى، من قوة إلى ضعف. ومن تقدم إلى تأخر، ومن تماسك إلى تفكك، ثم عندما تقدم العالم أجمع، بدأ

المسلمون يفيقون، من غفوتهم، ويتحرّكون بعد طول رقاد، ويثبتون وجودهم، ونحن نقول لهم: إنكم تقفون على عتبات الحاضر، فعليكم أن تنظروا إلى أمسكم الذى فى التاريخ نَبَؤُهُ «أمة عظيمة قوية صنعها الرسول ﷺ، بعون الله ورعايته، فدعم كيانها وأخلص فى تربية رجالها، وقادهم بتوفيق الله إلى شاطئ الأمان والهدوء والاستقرار، فى أخوة بارّة، وتعاطف كريم، وتضامن فى المسئولية، وتعاون على البر والتقوى».

فلما علم الله منهم إخلاص النية وصدق العزيمة، ظل ـ سبحانه ـ يأخذ بيدهم من نَصْرٌ إلى نَصرٍ كما يقول الحق: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾[1] . ومن غَلَبٍ إلى غلب، كقول الحق: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾[2] . وحداء السماء يحدو رَكْبَهُم كقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾[3] . وملائكة السماء تكثر جَمْعَهُم، وتؤيد جندهم: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾[4] .

---

(١) الروم ـ من الآية: ٤٧ .

(٢) المجادلة ـ من الآية: ٢١ .

(٣) آل عمران: ١٤٦ .

(٤) الأنفال ـ من الآية: ١٢ .

منْ هنا كانت أنوار الهداية تحيط بهم من كل جانب تجذب إليهم الصديق، وتفتح لهم قلوب العدو؛ لأنهم مؤيدون بالحق، وإليه يدعون، وبه يعملون﴿ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ ﴾[١]

أما يومكم، فهذه الملايين المبعثرة، وهذه الأشتات الموزعة، لو أنها وجدت من يحسن قيادتها، ويصغى لصوتها، ويجسد هتاف ضميرها، فإنها تلتف حوله، وهو بهذا إن كان مخلصاً وقائداً محنكاً وفاهماً لأمور الدين، وعارفاً لتطور التاريخ، فإنه سيقود الأمة وبه تعلو رايتها، وتعبر قارات الدنيا بأسرها، تُبلغ كلمة الله، وتنشر دعوة الحق، وتدعو إلى السلام، بعد أن تحقق الرخاء والهناءة لمن ينضوون تحت رايتها،، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ﴾[٢] . وقوله عز وجل: ﴿ وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ ﴾[٣] .

ونحن نشهد اليوم أن ثانية أقوى دول العالم، وأغنى الجمهوريات التى تصدت للدين واعتبرته أسطورة من الخيال، وأنه مُخَدِّرٌ للشعوب، مُغَيِّبٌ لوعيها ـ قد انهارت وتفككت أوصالها، وكَنَسَهَا التاريخ حيث رمى بها فى هوة النسيان؛ ذلك لأن الدين له

---

(١) التحريم ـ من الآية ٨.

(٢) الأعراف ـ من الآية: ٩٦.

(٣) الجن: ١٦.

قوة وهيمنة على النفوس، لا تستطيع القوى البشرية مجتمعة، بكل قواها أن تصدها، أو تحول بينها وبين وصولها إلى قلوب الناس؛ لأن الدين من عند الله، أرسل به رُسُلَهُ وأنبياءه لهداية البشرية، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٣٢) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٣٣)﴾[١].

إن الليل ـ مهما طال لابُدَّ من فجر يُبدد ظلمته، وإن الظلم ـ مهما طال ـ لابد من يوم يتفرق فيه أتباعه، وإن الباطل ـ مهما انتشر ووجد من يجندون أنفسهم لخدمته، ويبذلون أموالهم لنشره ـ لابد أن ينحسر، مصداقًا لقول الحق: ﴿فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾[٢]. وقوله سبحانه وتعالى: ﴿لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلادِ (١٩٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٩٧)﴾[٣].

إنه لم يكن أحد يتصور أن الاتحاد السوفيتى، ينهار بيد أبنائه، بعد أن كانت الدنيا لا تغمض عينيها إلا إذا أمنت جانبه، وها هو ذا اليوم قتلاه بالآلاف بيد أبنائه، وإن الحصار الذى فرضه على الأديان تهاوى تحت أقدام أصحاب العقائد؛ لأنه كما يقول ربنا: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ﴾[٤].

---

(١) التوبة: ٣٢ و ٣٣.
(٢) الأنفال ـ من الآية: ٣٦.
(٣) آل عمران: ١٩٦، ١٩٧.
(٤) الرعد ـ من الآية: ١٧.

من هنا، فإن القَدَرَ حَمَّلَنَا مسئولية ضخمة، هى أن نواجه العالم بقوة العقيدة، وحسن التخطيط، والاعتماد على الله، مع الأخذ بكل الوسائل الممكنة التى تحقق الأمن الغذائى والصناعى والتجارى للأمة؛ ليكون النجاح لمن يحملون راية الحق، . ويبشرون بالسلام؛ لأن أصحاب العقائد ـ مهما قل عددهم ـ فإن النصر لهم، حسبما قال ربنا فى كتابه، بعد أن قدم الدعوة لإعداد العُدة وأخذ الأهبة: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾(1). أما أنصار الباطل، فقد قال عنهم ربنا: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾(2). إن الفضل بيد الله، وإن النصر من عند الله، وإنه ـ سبحانه وتعالى ـ لن يتخلى عن المؤمنين، هذا أمره، وهو ما تحقق فى الواقع واستوعبه التاريخ: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾﴾(3) .

إن الصحوة الإسلامية التى يشهدها العالم اليوم، علينا أن ندعمها ونرشدها؛ ليصل صوتها إلى الآفاق صيحة مدوية، تؤمن

(1) الأنفال ـ من الآية: ٦٥.

(2) الحشر ـ من الآية : ٢.

(3) الأنفال: ١٢ و ١٣.

الصديق، وتخيف العدو، وتنشر العدل المدعم بالرفق؛ لتنساب في أنحاء الدنيا، تتلو كتاب الله، وتبين سنة رسوله ﷺ وتدعو إلى الخير، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، ويومها سيجد الخائف مأمنه، والجائع مطعمه، والمريض علاجه، وسيصل العالم إلى شاطئ الأمان، وبر النجاة، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾[1] .

إن العظة من هذا الدرس يجب أن يستفيد منها المسلمون، فإن العاقل من اتعظ بغيره.

أما المستقبل، فإنه يحتاج إلى نظرة متأنية، وتخطيط سليم، يقوم على الدراسة الواعية، مع تجميع طاقات المسلمين، واستغلالها، وأخذ الأهبة لإيجاد دولة مسلمة، قوية تنير الشرق والغرب بنور الله الذى لن ينطفئ أبداً حتى تقوم الساعة.

إن السماء لا تمنح خيراتها للكسالى، وإن الأرض لن تجود بنتاجها للخاملين، نحن نردد أن اليد العليا خير من اليد السفلى، وأن الإسلام دعوة إلى العمل والإنتاج، والسعي في مناكب الأرض، وإننا نرجو آملين أن يتجه المسلمون إلى الوحدة

---

(١) الحج: ٤١.

والتآلف، ولهم فى ماضى الأجداد العظة المستفادة، وإذا كانت دول أوروبا توحد أنفسها اليوم، وتوحد السوق المشتركة على ظهر الأرض، والمسلمون كما نرى، أليس ذلك مما يدعو إلى العجب؟! وقد أجمع عقلاء الدنيا بأسرها أن ما حمله محمد بن عبد الله إلى البشر هو خير للدنيا وإسعاد لها، وتحقيق للأمن والرفاهية لبنى الإنسان جميعاً، أليس غريبا أن يكون الإسلام حائرا بين أهله، وجهل أبنائه، وعجز علمائه؟ وكيف يكون هذا حالنا، ومفتاح الخير فى يدنا، ونور الدنيا بين أيدينا وبأيماننا؟

إننا نهيب بالأمة الإسلامية أن تجتمع على كلمة الحق، وأن تدعو إلى الحق، ونقول لها ما قاله ربنا: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا﴾[1]. وقوله: ﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ (٩٢)﴾[2].

إن رجل الإعلام الدينى أمامه طريق النصر، حدده ربنا فى القرآن الكريم، وخلاصته، كما يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٤٥)﴾[3] إذن فالجسور القوية الموصلة إلى النصر هى:

١ ـ الثبات على المبدأ، ويستتبع ذلك قوة الثقة فى الله، وشدة العزيمة، وصحة اليقين.

---

(١) آل عمران ـ من الآية: ١٠٣.

(٢) الأنبياء: ٩٢.

(٣) الأنفال: ٤٥.

٢ ـ ذكر الله، وينتج ذلك من شعور الإنسان بأن الله معه، وأنه مراقبه، وسوف يحاسبه على ما يصدر منه من قول أو فعل.

٣ ـ عدم الخيانة؛ لأن الله لا يحب الخائنين، وما دمت مع الله، فكن أمينا على نفسك، وعلى المال العام، وعلى مصالح الناس، وعلى كل شيء فى الكون الذى تستطيع أن تتحرك فيه، فلا تفسد على الناس مصالحهم، ولا تلوث البيئة حتى لا تضر غيرك.

إن رجل الإعلام الدينى يرتبط قوله بسلوكه، لأن أمام عينيه قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ (٣)﴾[1].

إنه يقول الحق ولو كان مرًّا؛ لأنه لا يخاف على رزقه، فهو يؤمن بأن الرزق بيد الله وحده مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾[2].

كما أنه لا يخاف على أجله؛ لأنه يؤمن أن نفسًا لن تموت حتى تستوفى رزقها وأجلها؛ لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ (٣٤)﴾[3].

---

(١) الصف: ٢ و ٣.

(٢) هود ـ من الآية: ٦.

(٣) الأعراف ـ من الآية : ٣٤ و النحل ـ من الآية: ٦١.

فلو أن رجال الإعلام الدينى - على مختلف مستوياتهم - آمنوا بكل ذلك، وسلكوا المسلك الطيب، وكانوا نماذج حية لقيم الإسلام وتعاليمه، وتحركوا باسم الله، وقاموا باسم الله، وخططوا باسم الله، وأجمعوا كلمتهم لوجه الله، لا يريدون تفاخراً، ولا كبراً، ولا بطراً، فسوف يندحر أمامهم الإعلام المهزوز الذى خطط له أعداء الإسلام، ونشروه بقوة المال تارة، وبالخبث تارة أخرى، وبالتلفيق أحياناً.

إنَّ كل ذلك، تم فى غيبة الحق ورجاله، وغيبة العلماء وفكرهم؛ لذلك نحن نطلقها صيحة مدوية «إن الإسلام ليس لعبة الصغار» ولا يفرض بالجنازير، وضرب الرصاص؛ لأن الذى أرسل نبيه به قال له: ﴿لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ﴾[1]. كما قال سبحانه: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[2]. كما قال أيضاً: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾[3].

إن العالم مهيأ الآن لأن يتقبل منا ما نقول، لكن الشرط الأساسى أن يرى أمة الإسلام، وقد توحد صفها، وقويت عزيمتها، ومد الأخ يده لأخيه بحب وعطف ومَوَدَّة، الغنى يعطف

---

(١) سورة الغاشية - من الآية ٢٢.

(٢) سورة الكهف - من الآية ٢٩.

(٣) سورة البقرة - من الآية ٢٥٦.

على الفقير، والفقير يصون مال الغني ولا يعتدى عليه؛ لأن كل واحد منهم يؤمن بما قال الله: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ ﴿٧١﴾﴾[1]. وبما قاله - عز وجل - فى هذا السياق: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾[2].

إن تنمية الإنسان ليست بالشيء السهل الهين؛ لأننا نعلم أن بناء المصانع سهل، وأن تعبيد الطرق وشق الصخور أسهل، أما بناء الإنسان فشيء صعب، ولكن إذا ما تليت على الإنسان آيات الله، وذُكِّرَ بنعم الله، فإنه يلين قلبه، وتسكن عواطفه، ويطمئن خاطره: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾[3].

إن الأمم الناجحة هى التى تعمل على توفير حياة أفضل لأبنائها، بزيادة المصانع لتشغيل الأيدى العاطلة، وتوسيع الرقعة الزراعية لتوفير احتياجات الناس من الغذاء، كذلك العمل على إعدد الجندى المدزب على آلات الدفاع ليؤمن حدود وطنه، وإعداد الشرطى الأمين ليؤمن الوطن من الداخل، ويحفظ أمن

---

(١) النحل - من الآية: ٧١.

(٢) طه: ١٣١ و ١٣٢

(٣) الرعد - من الآية: ٢٨.

المواطنين، ثم تعمل الأمم كذلك على توفير جو مناسب لفئة معينة كى تبتكر وتخترع وتخطط وتنظم وترسم الخط الذى يصل بين كافة الأجهزة داخل الوطن وخارجه؛ لتمد جسرا من التفاهم على حل المشاكل التى تظهر عند تنفيذ أى مشروع خدمة للأمة ونهوضاً بالمجتمع.

والذى يربى الرجال ويوقظهم ويصحح لهم المفاهيم ويوضح لهم الخط هو رجل الإعلام الدينى؛ لأنه يوجه ويرشد ليبنى الإنسان من خارجه وداخله؛ ليكون هناك اكتمال بين الروح والجسد، وحتى لا يطغى الجسد على الروح أو الروح على الجسد، فلابد أن يكون هناك انسجام بينهما وتوازن؛ لتزدوج الحياة مع الدين، كما تزدوج الروح مع الجسد، ولن يستطيع الإنسان أن يفعل ذلك من تلقاء نفسه، بل لابد من شخص تكون مهمته تأصيل القيم فى النفوس، وتهيئة المناخ العام الذى يعمل على إيجاد الفرد الصالح وينمى فيه روح المراقبة لله والولاء للدين والانتماء للوطن، وخلق جو من التآلف بين الفرد والمجموع؛ لأن الأمة مهما ارتقت من الناحية الصناعية أو الزراعية أو التجارية أو الحربية، أو الأمنية، فإن بُعْدَها عن الله يُزين لها من الجرائم ما تنحط به إلى الدرك الأسفل، وتتعرض لأوخم العواقب، مصداقاً لقوله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾﴾[1].

---

(١) سورة الفيل الآيتان: ١ و ٢.

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝٧ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ۝٨﴾[1].

ومن المعلوم لنا أن الرسالات التى حملها إلينا الأنبياء، وأصبحنا الأمناء عليها، الداعين للأخذ بها، لا ترسمها اجتهادات أحد، ولا تنبع من فلسفات فكرية، بل هى من عند الله سبحانه؛ لأن العقل البشرى، مع احترامنا له، يلحقه القصور أحيانًا، والنسيان فى بعض الأحايين، أما الكمال المطلق فلله وحده، مصداقاً لقول الحق: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ والأرض﴾[2]؛ لذلك فنحن نلتزم بما جاءنا من عند الله على لسان رسوله الأمين الذى نأخذ بقوله.

إن رجل الإعلام الدينى هو الذى يقوى العزائم بروحه؛ لأنه الصلة القائمة فى المجتمع، بين كتاب الله والناس، على أساسه ينظم شئونهم، وينفث فيهم روح النشاط والأمل، فإذا رأى فتوراً فى اتباع الدين، أو تهاوناً فى التمسك بالقيم، أو اعتداءً على الفضائل، أو نهباً للمال العام أو غشًا فى التعامل، أو فتوراً وتكاسلاً فى أداء الواجبات ـ هَبَّ يدافع عن الدين، وينفخ فى الناس من روح علمه ومعرفته بالله؛ لتكون فيهم قوة الدفاع عن الحرمات التى نهى الله أن يُعتدى عليها، وأمر أن تُصان، فصوته يعلو كلما عرض لتعاليم الإسلام شىء ينقص منها، أو يحط من قدرها؛ لأنه كالديدبان اليقظ الذى يتخذ من المنبر مركزاً لتنمية

---

(١) سورة الفجر ـ الآيات من ٦ ـ ٨.

(٢) الروم ـ من الآية: ٢٧.

أحاسيس الناس وترقيق عواطفهم، وتوجيههم الوجهة الصحيحة لما فيه صلاحهم فى الدنيا والدين، آخذاً من هدى الإسلام، فهو موصل جيد لتعاليمه، وخطبة الجمعة من شعائر الإسلام، ومعانيها تنساب إلى نفوس المسلمين فى لحظات انعطاف إلى الله، مع شفافية الروح وخلو النفس من مشاغل الدنيا.

والإنسان فى تلك اللحظات، يتقبل وصايا الرحمن؛ لأنها تنير الطريق له، وتُعينه على حل مشاكل الحياة.

وعندما يتعرض رجل الإعلام الدينى، لتوجيه الإنسانية، على هدى من كتاب الله وتوجيهات رسوله، فإنه يتعرض لذكر نماذج من التاريخ، التى تدل على أمجاد المسلمين، فى النواحى الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية، ولبيان ماشاده المسلمون من حضارة عظيمة، تفجرت ينابيعها من الحركة العقلية التى أحدثها القرآن، وصنعها الرسول ﷺ، والتأسى بالآباء والأجداد، مع التأمل فى الحاضر والتطلع إلى المستقبل بأمل باسم وثقة فى الله لا تتزعزع.

الصدق فى الكلمة:

الصدق فضيلة من الفضائل، كل الأديان رغبت فى التمسك به؛ لأنه أسهل طريق للنجاح؛ لذلك نجد أن الإعلام الناجح هو الذى يلتزم الصدق فى كلامه، حتى وإن اختلف فى الرأى مع الآخرين، فإنه يلتزم بتلك القيم الأخلاقية، فلا يجرح خصمه، ولا يكيل التهم لمن خالفه فى الرأى؛ ذلك لأن له موهبة نشطة،

وذكاء حادًا، فهو يستعمل كل ذلك فى البحث عن الحقائق؛ ليكون مقنعاً لمن يستمع إليه، أو يقرأ له؛ لأن القلوب لها آذان لا يصل إليها إلا ما خرج من القلب عن صدق.

إن الإعلامى الذى لا يلتزم الصدق فى كلامه وآرائه وتحليلاته ينصرف الجمهور عنه، ويتندرون عليه، فهو موضع نقد دائم، ولا يكون رايأ عامًا، ولا يؤسس فكرا له، وكيف يكون وضعه فى المجتمع والأخبار التى يرويها ملفقة، والأنباء متناقضة، والمعلومات غير صحيحة، فالناس ينصرفون عنه ولا يقبلون عليه.

وإذا كنا نرى فى مجتمعنا المعاصر أن خبراً يُنْشَرُ فى أول الجريدة له فى وسطها تكذيب، ووكالات الأنباء التى تذيع خبراً تنقضه بعد قليل، والمجلات كل ما فيها تهييج للغرائز وتصوير للجنس ـ فإن ذلك أدَّى إلى شعور باليأس من الإصلاح. والإنسان ـ وهو يتابع ذلك ـ يقع تحت تأثير سيطرة الكلمة التى قرأها أو سمعها؛ لذلك يرددها وهو فاقد الوعى، وهنا نجد أن المستوى الأدبى قد هبط، وأن الفهم السليم للغة العربية قد انحدر، ونحن نقول لهؤلاء: إن الكلمة أمانة، وهى مسئولية خطيرة، وإلى هذا أشار القرآن الكريم مبينا لنا أن كل كلمة نقولها، سنُحاسب عليها، حسبما جاء فى قول الحق: ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾[1].

---

(١) الإسراء: ١٣ و ١٤.

ومن أجل هذا نبهنا ربنا إلى أن نبتعد عن اللَّغْو فى الكلام، فقال ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣)﴾(١). ويقول: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾(٢). كما يبين لنا ـ عز وجل ـ أن الشخص عليه أن يلتزم بالصدق، ولا يتبع الظن، ولا يتبع العثرات، فيقول جل جلاله: ﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً (٣٦)﴾(٣). ويقول:

﴿وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا (٧٢)﴾(٤).

ثم يبين لنا خطورة الكلمة، وأن الواحد منا عليه أن يتحرى الحقيقة، فيقول رسول الله ﷺ: «إن العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بالكلمة ما يتبين فيها يَزِلُّ بها فى النَّارِ أَبْعَدَ ما بَيْنَ المَشْرِقِ والمَغْرِب» (متفق عليه). وقال أيضا صلوات الله وسلامه عليه: «المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لسَانه ويَدِه».. وفى الحديث الآخر الذى رواه البيهقى: إنَّ العَبْدَ لَيَقول الكَلِمَةَ لا يَقُولُهَا إلاَّ لِيُضْحِكَ بهَا مَنْ فى المَجْلِسِ يَهْوِى بها أَبْعَدَ ما بَيْنَ السَّماء والأَرْض، وإنَّ المَرْءَ لَيَزِلُّ عَنْ لِسَانه أَشَدَّ مِمَّا يَزِلُّ عَنْ قَدَمَيْه». وقال شاعر:

يَمُوتُ الفَتَى مِنْ عَثْرَةٍ بِلِسَانِه

وليسَ يَمُوتُ المَرْءُ مِنْ عَثْرَةِ الرِّجْلِ

---

(١) المؤمنون: من ١ ـ ٣.

(٢) القصص ـ من الآية: ٥٥.

(٣) الإسراء: ٣٦.

(٤) الفرقان: ٧٢.

وفى الأثر، عن أبى سعيد الخدرى، أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أصبح ابن آدم، فإن الأعضاء كلها تستكفى اللسان، فتقول له: اتق الله فينا؛ فإنما نحن بك، فإن استقمت استقمنا. وإن اعوججت اعوججنا».

ونحن نقص لرجل عظيم، هو قدوة للإعلاميين الذين يحترمون أنفسهم، ويحافظون على أصالة الفكر والبحث عن الحقيقة، وعدم التمسك بالشائعات، وإذاعتها، إنه المثل الرائد صاحب الخلق الكريم، سيدنا محمد بن عبدالله ﷺ، فلقد كان فى مكة ـ قبل أن ينزل عليه الوحى ـ متصفاً بالصدق والأمانة، يتعامل بهما مع العدو والصديق، فتراه مثلاً فى ليلة الهجرة عنده أمانات لأعدائه، وهم الذين تآمروا عليه، وجمعوا الجموع لقتله، ومع ذلك كلف الامام عليًا لينام فى مكانه؛ ليرد الودائع إلى أصحابها، وهل تجد أميناً هكذا؟ يتآمرون عليه، ويرد لهم ما عنده من أمانات؟.

وفى المدينة، كانت تنزل عليه النوازل التى من شأنها أن تعصف بحلم الحليم، وتحفزه ليرد عن نفسه، ولكنه دائما كان يبحث عن الحقيقة، ويتحرى الصدق، فتراه مثلا عندما أرجف المنافقون فى المدينة بحديث الإفك، عن السيدة الفاضلة المحترمة العفيفة (عائشة) بنت الصديق الكريم، رضى الله عنهما، وأبطأ الوحى، والناس يخوضون فى هذا الأمر، حتى بلغت القلوب الحناجر، لكنه كلما سئل ﷺ عن رأيه كان يقول بكل تحفظ واحتراس: إنى لا أعلم من الأمر شيئا، ومع ذلك يبذل جهده فى

التحرى عن الحقيقة، ويسأل والكل يقول: ما علمنا من سوء، ويمضى الشهر وبعضه، وهو يقول لزوجته وأهل بيته: «أما إنه بلغنى كذا وكذا مما يقول الناس، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله».

أرأيت هذا الأسلوب الكريم، ماذا كان يمنعه أن يدافع عن خاصة أهله، وهى زوجة شريفة من بيت كريم، ونبت طيب ودوحة أصيلة؟ لِمَ لَمْ يتكلم ليدافع عن شرفه ويحمى عِرْضَهُ ويقطع ألسنة المتخرصين؟ إنه لم يرد أن يتبع الظن وإنما يتحرى الحقيقة، حتى لا يقول ما ليس له به علم. ومن هنا أذهب الله الرجس عن هذا البيت، وطهرهم تطهيرا، وأنزل قرآنا يتلى على سمع الزمان، يعلن براءة «الطاهرة»، فنزلت سورة النور تعلن براءة الصديقة بنت الصديق، وهكذا نرى أن محمدا الزوج الكريم ضرب المثل الرائع على أن الرجل لا ينقاد للشائعات، ولا يجرى وراء الظن، ولا يتصيد التهم؛ ولهذا يقول الدكتور غوستاف لوبون فى كتابه (حضارة العرب) «لقد استطاع محمد أن يبدع مثلا عاليا قويا للشعوب العربية، التى لا عهد لها بالمثل العليا، وفى ذلك الإبداع تتجلى عظمة محمد.. على أصحاب المبادئ وحملة مسئولية الكلمة أن يقتدوا به، ولا يثيروا العواطف أو يقولوا ما ليس لهم به علم، ذلك أن الظن لا يُغنى عن الحق شيئا، وأمتنا اليوم فى حاجة إلى قيادات تدعو إلى الخير والفضيلة والتمسك بالآداب العالية والأخلاق الفاضلة؛ ليكونوا نماذج صالحة يقتدى الناس بهم.

حرية الرأى:

إن البعض قد يقول: (أنا حر) أعردد ما أشاء وأقول ما أريد، نقول له: نعم، أنت حر، لكنك جزء من مجموع، لست وحدك فى الكون.

والإسلام يؤكد على حرية الرأى، لأنها تؤكد كرامة الإنسان، وتشجعه على التفكير؛ ليلتحم مع غيره، لكن الحرية فى التعبير تكون بخير الأساليب، وأفضل العبارات، مع الابتعاد عن اللغو. فيقول الحق سبحانه: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾[1]. ويقول المولى عز وجل: ﴿وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً﴾[2]. ويقول فى علاه: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا الَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[3]. فالحرية لها ضوابط لتصان الحرمات ولا يشاع المجون.

إن الناس إذا فقدوا الثقة فيمن يتحدث أو يكتب إليهم فسينصرفون عنه ويقولون (كلام جرايد) أو (ياعم سيبك أهو واحد اللى يقوله يعيده)، فينصرف الناس عنه، وتبور الصحيفة، وينفض الناس عن الخطيب فلا أحد يسمع له وهذا ما رأيناه من تخلخل الفكر المعروض على الناس حتى أصبح هناك أزمة ثقة بين كثير من الناس الذين يستهويهم البحث عن الرأى الحق؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا الَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾[4]. ويقول الرسول ﷺ فيما رواه مسلم: «يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا، وتطاوعوا ولا تختلفوا» إنه لا

---

(١) البقرة ـ من الآية: ٨٣.

(٢) المزمل ـ من الآية : ١٠.

(٣، ٤) الإسراء ـ من الآية : ٥٣.

حرية بلا مسئولية، ورجل الإعلام الذى يعرف المسئولية ويقدرها ويلتزم بالحق وحده بدون سيطرة الهوى على النفوس، محاولة لإدخال الرعب على شخص ما، هو ناجح فى عمله، له رواده ومحبوه.

إن الإعلام هو دعوة لبث روح الأمن فى المجتمع، وإشاعة روح الأمل فى نفوس الجماهير، مع رسم خريطة المستقبل، بحيث تكون بيِّنَة المعالم، واضحة الأهداف، إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ أخبرنا أنه سوف يسأل الصادقين عن صدقهم، وأن من افترى الكذب فهو ظالم لنفسه. قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ﴾[1].

إن التشهير ببرىء يدمره، وإن التشنيع على الشخص يحطمه، والنتيجة حقد ومرارة ومحاولة انتقام وتربص كل بالآخر، وهل هذه هى الحياة؟ لا . . . من أجل ذلك قال الرسول ﷺ لعقبة بن عامر: «أمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَك» فهل آن الأوان لكى نراجع أنفسنا ونهيئ المناخَ الطيب بإعلام صادق، يأخذ مجراه لبناء الإنسان، وتوحيد الصف، وإيجاد جيل يؤمن بالقيم والأخلاق، يترك الجدل، ولا يجرى وراء التفاهات، وإنما يبحث عن عظائم الأمور؛ لأن العظائم كفؤها العظماء؛ وذلك ما يهدف إليه المنبر فى المسجد، وهو أقوى وسيلة إعلام، نأمل الخير للدنيا من خلال ما يقال عليه، عندما تقبل الجماهير لتسمع آيات الله تتلى، فيزداد

---

(١) الزمر ـ من الآية : ٣٢.

الإيمان فى القلوب، وتتفجر الطاقات للعمل البناء لصالح الأمة وخدمة الإنسانية.

إن الشخص قد يختلف مع غيره فى الرأى، والإنسان العاقل هو الذى يحول الخلاف فى الرأى إلى جسر يعبر منه إلى تحقيق أكثر للخير، وتآلف القلوب؛ لأن الوصول إلى أحسن النتائج والأفكار يكون نتيجة حوار هادئ يتسم بضبط النفس، وسعة الصدر، وعدم اللجاجة فى الباطل، والانقياد للحق، ولو كان على غير مراد الشخص، فالرسول عليه الصلاة والسلام ـ يقول ـ فيما رواه الترمذى ـ «ما ضَلَّ قَوْمٌ بعد هُدًى كَانُوا عَلَيْه إلاَّ أُوتوا الْجَدَلَ» ويقول فيما رواه البخارى: «إن أبْغَضَ الرِّجَال إلى الله الألَدُّ الخَصِمُ».

إن الجدل فى الكلام يؤدى إلى الخصومة، وشحن النفوس بالغيْرة وحب التعالى والظهور، وكل ذلك من الأمور التى نهى الإسلام عنها؛ ولهذا يرشدنا ربنا إلى أدب الحوار والجدل فيقول: ﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[1]. ويقول الحق أيضا فى ذلك: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ①﴾[2]. والرسول عليه الصلاة والسلام يرشدنا إلى أن نبتعد عن الجدل والثرثرة التى لا تفيد، فيقول ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ فيما رواه ابو داود: «مَنْ تَرَكَ المِرَاءَ وَهُوَ مُبْطِلٌ بُنِيَ لَهُ بَيْتٌ فى ربضِ الجَنَّة، ومَنْ تَرَكَهُ وهُوَ مُحِقٌّ بُنِيَ لَهُ فى وَسَطِهَا، ومَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ بُنِيَ له فى أعْلاَهَا».

---

(١) العنكبوت ـ من الآية : ٤٦.

(٢) الهمزة: ١.

إن أدب الحوار أن تستمع من الذى يحاورك، وتعطيه الفرصة كى يعبر عن فكره واتجاهاته، ويقيم الأدلة على ما يقول، ثم هو ـ كذلك ـ يستمع لك، ويمنحك الفرصة كى ترد عليه بأدب وتجمل وسعة صدر وحلم؛ لأن الهدف الوصول إلى قيمة فكرية نحاول تعميقها فى نفوس الناس، ووضع الضوابط العلمية كى نحول الفكر المضطرب إلى فكر مستقيم، حتى نخدم ديننا وأمتنا.

إن بعض الناس لا يلتزم بأدب الحوار، الأمر الذى يحدث ضجيجا وفوضى فى المجلس، وتضيع القضية المطروحة على الساحة ويروج لها من لا يفهم فكرًا مستقيمًا، وهنا لا نقدر على تأصيل القيم العلمية والأدبية؛ لذلك فإن المطلوب أن نشيع ونشجع أدب الحوار فى مجتمعنا؛ تحقيقا لما يهدف إليه الإسلام، وتدعو إليه القيم الخلقية والأدبية.

إن الإسلام لا يُصَادر رأياً ،ولا يحجر على فكر، وإنما يدعو لأن نقول الحُسْنَى، وهى الكلمة الطيبة الهادفة التى لا تجرح الشعور، ولا تؤذى النفس، وتؤصل فكرًا سليمًا وقيمًا خلقية، ولا يكون من ورائها فوضى واضطراب وخلخلة اجتماعية، ولا تطاول على القيم والعادات، إننا ندعو إلى احترام أنفسنا، ولن يتحقق ذلك إلا إذا احترمنا غيرنا، وكان عندنا فسحة فى الصدر، واستماع للآراء، ثم تكون هناك مناقشة صادقة تنير المسالك، وتكشف الغامض، وتفتح آفاق الفكر المستنير؛ ولهذا نهانا ربنا أن نَسُبَّ من يختلف معنا فى الدين؛ لأنه يردُّ عليك، وهنا تكون

الفتنة، فيقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[1].

فعلينا أن نحترم غيرنا، ولا نتهجم على عقائده، وقيمه وآدابه، وعاداته الاجتماعية، وهذه هى الحرية التى ينشدها الجميع.

أدب الاختلاف:

الاختلاف، والمخالفة: أن ينتهج كل شخص طريقاً مغايراً للآخر فى حاله أو قوله، وقد يفضى ذلك إلى التنازع، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك، حيث قال ربنا جل جلاله: ﴿فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾[2]. ويؤدى ذلك إلى الجدل، الذى من خلاله يحاول كل شخص أن يتغلب على الآخر ويصل من وراء ذلك إلى الشقاق، وإلى هذا أشار الحق سبحانه وتعالى: ﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾[3]. وقد اقتضت مشيئة الله - سبحانه وتعالى - أنه خلق الناس بعقول متفاوتة ومدارك متباينة، إلى جانب اختلاف الألسنة والألوان والتصورات والأفكار لحكمة يعلمها؛ لكى يتسع نطاق الابتكار والاختراع، وكل ذلك من مظاهر قدرة الله تعالى فى خلقه، وإلى هذا أشار القرآن الكريم: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾[4]. ولعل الحكمة من كون الناس لم يخلقوا سواسية فى كل شىء، أن يكون هناك

---

(١) الأنعام - من الآية : ١٠٨.

(٢) مريم - من الآية : ٣٧.

(٣) البقرة - من الآية : ١٣٧.

(٤) الروم - من الآية : ٢٢.

تعدد الحلول لكل وقاعة ليصل الناس الى الحل المناسب، وحتى لا يقع الناس فى حرج فى حياتهم، كما أن الاختلاف رياضة للأذهان وتلاقح للآراء وفتح لمجالات التفكير للوصول إلى أنسب الافتراضات؛ لأن ذلك يتيح التعرف على جميع الاحتمالات التى يمكن وقوعها، ولعل فى ذلك حكمة عظيمة لا ندركها، ولهذا جاءت الإشارة من الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾[1].

ونصل من وراء ذلك إلى أن الاختلاف له فوائد، إذا لم يكن من وراء ذلك اتباع الهوى وحب الغلبة والظهور، وإلى هذا أشار سبحانه: ﴿وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾[2]. وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[3].

وإذا كان الخلاف للهوى وحب الظهور، فإن ذلك مفسدة، وإخلال بالمصالح العامة، وإلى هذا أشار قول الله: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾﴾[4].

إن الاختلاف إذا تذبذب بين القوة والضعف ـ تبعا لمشاعر

---

(١) هود: ١١٨، وصدر ١١٩.

(٢) ص ـ من الآية : ٢٦.

(٣) الأنعام ـ من الآية : ١١٩.

(٤) البقرة ـ من الآية : ٨٧.

الهوى وحب السيطرة والمرح ـ فإن ذلك وليد الهوى، ونزغ الشيطان، فعلى صاحبه أن يعود إلى صوابه، ولا ينقاد لهوى النفس الأمّارة بالسوء، وأن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم؛ لأن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ يقول: «إنَّ الخلافَ شرٌّ». ولعلنا نلحظ أن هارون ـ عليه السلام ـ بين لنا خطورة الاختلاف وضرره، وأنه أشد من عبادة الأوثان، وذلك عندما صَنَعَ السامرى لقومه عِجْلاً من الذهب، وقال لهم، كما قال الحق: ﴿هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾﴾[1]. فالتزم جانب الصمت، وبقى ينتظر موسى الذى رأى القوم عاكفين على العِجْل، فوجَّهَ اللوم إلى أخيه هارون، الذى قال لموسى مبينا عذره فى السكوت: ﴿قَالَ يَا بْنَؤُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾﴾[2]. فجعل هارون عذره خَوْفَ الفرقة والاختلاف، ونستأنس هنا بقوله تعالى: ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[3].

إن الاختلاف فى الرأى لا يفسد للود قضية، إذا كان الهدف منه الوصول للحق، وتحقيق أعلى معدلات الإنتاج فى الأداء وتنفيذ الخطة السليمة المدروسة، القائمة على التخطيط المبنى على

---

(١) طه من الآية: ٨٨.
(٢) طه: ٩٤.
(٣) آل عمران: ١٠٥.

العلم؛ ليكون من وراء ذلك صالح المجتمع وخدمة الإنسانية، ونستأنس هنا بما أخرجه البخارى ومسلم، أن النبى ﷺ قال يوم الأحزاب: «لا يُصَلِّيَنَّ أحَدٌ العَصْرَ إلاَّ فى بَنى قُرَيْظَةَ»، فَأدْرَكَ بَعْضَهُمُ العصرُ فى الطريق، فقال بعضهم: لا نُصلى حتى نأتيها (أى بنى قريظة)، وقال بعضهم: بل نُصَلِّى، فذكر ذلك للنبى ﷺ، فلم يعنف واحداً منهم، وكذلك ما أخرجه أبو داود عن عمرو بن العاص ـ رضى الله عنه ـ أنه قال: «احْتَلَمْتُ فى ليلة بَارِدَةٍ فى غزوة ذَات السَّلاسل، فأشفقتُ إن اغْتَسَلْتُ أنْ أَهْلِكَ، فَتَيَمَّمْتُ، ثم صَلَّيْتُ بأصحابى الصبحَ، فَذُكِرَ ذلك للنَبىِّ ﷺ، فَقَالَ: (ياعَمْرو، صَلَّيْتَ بأصْحابِكَ الصُّبْحَ وأنْتَ جُنُبٌ؟) فأخبَرْتُهُ بالَّذى حَدَثَ، فنزل قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾﴾[1]. فضحك رسول الله ولم يقل شيئا».

كذلك كان بين الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ اختلاف فى الرأى، لكنهم كانوا يلتزمون دائما البُعْدَ عن الهوى، والالتزام بآداب الإسلام من انتقاء الكلمات الطيبة، وتجنب الألفاظ الجارحة، وحُسن الاستماع.. وإذا كان فى عصرنا الحاضر، قد نشأ خلاف فى الأمور السياسية، جعل البعض متشدداً فى رأيه، ويتمسك برأى حزبه، ولا ينصاع للرأى الصواب، فإن ذلك من الأمور التى يجب علينا أن نعالجها، وأن نبين أن المسلمين حدث

(١) النساء ـ من الآية: ٢٩.

بينهم خلاف عند مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضى الله عنه، ثم اتخذت الطائفة المعارضة العراق كبيئة خصبة لتفاعل الأفكار السياسية وتعقيداتها وتصديرها إلى الجهات المختلفة، وهناك نشأ التشيع ،وظهرت (الجهمية، والمعتزلة)، وانتشر الخوارج، وظهر أهل البدع، وبدأ وضع الحديث، وتأليف القصص ذات المغزى السياسى، حتى قال الإمام مالك عن الكوفة: (إنها دار الضرب)، وقال الزُّهرِىُّ (يخرج الحديثُ من عندنا شبراً، فيعود من العراق ذراعا) كما جاء فى كتاب الانتقاء.

ثم ما حدث فى صلح الحُدَيْبِيَةَ، حين جاء سُهَيْلُ بن عَمْرو إلى رسول الله ﷺ، فقال لعَلِىٍّ: اكتب: (هَذَا مَا صَالَحَ عَلَيْه مُحَمَّدٌ رسول الله ﷺ) فقال سهيل: (لَوْ نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ الله لم نُقاتِلْكَ) فقال رسول الله لعَلِىّ: (أُمْحُ هَذَا)، وما حدث من عمر، عندما اعترض على الصلح، وقال قولته: يا رسول الله، ألسنا على الحق، فقال الرسول ﷺ: بلى، فقال عمر: فَلِمَ نُعْطَ الدَّنِيَّةَ فى ديننا؟.

وعندما وقف المسلمون ولم يقصروا، ولم يخلعوا ملابس إحرامهم، فأشارت أم سلمة: أن يبدأ رسول الله، ثم يخرج إليهم، فانتهت المشكلة فى هدوء، وهذا قمة أدب الاختلاف، ويحدث كثير جدا شيء من الخلافات التى تتسم بالطابع السياسى، ومع ذلك لم تُفَرق جَمْعَ المسلمين، ولم تكن فى يوم من الأيام عامل هدم فى جسم الأمة الإسلامية.

فعلينا نحن أن نتنبه، وأن يكون لنا فى رسول الله أسوة

وقدوة، وفى الصحابة الكرام، وفى مناهج الأئمة ما ينير لنا طريق الحقيقة، حتى تتوحد الصفوف والقلوب، وتجتمع الكلمة تحت راية واحدة هى راية الإسلام، فقد كان الواحد منهم يبذل جهده وما فى وسعه، ولا هدف له إلا إصابة الحق وإرضاء الله جل شأنه، ولقد كان أهل العلم يقبلون فتاوى المفتين فى المسائل الاجتهادية، فيصوبون المُصيبَ، ويستغفرون للمخطئ، ويحسنون الظن بالجميع، فالكل يستقى من نبع واحد، وإن اختلفت الوسائل، إننا ـ ونحن نذكر ذلك ـ نركز على أن المسلم عليه أن يعى قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾[1].

ولقد بَيَّنَّا ما حَدَثَ فى العراق، كَمَثَل نضربه، لأن أعداء الإسلام حاولوا ضرب الإسلام، واقتلاع جذوره ومحوه من الوجود، فلم يقدروا على ذلك، ثم عقبنا بما حدث من أمور سياسية؛ لنكون على بَيِّنَة بأن الأمور السليمة والقواعد الأصيلة هى التى ترد الناس إلى الحق، وتأبى الانقياد للهوى؛ لأن ذلك خير للشخص فى دنياه ودينه، وإن الانحدار الذى تعيش فيه المجتمعات الإسلامية اليوم، كان نتيجة لركود الحركة الفكرية وانتشار الفتن، وذبول شجرة الاجتهاد، ونزول الحال عند هذا الدرك الهابط، فغابت شمس العلوم، وعقم الفكر، وراجت سوق البدع، ونفقت بضاعة الانحراف، واتخذت أشكالاً

(١) سورة النور ـ من الآية ٥١

مختلفة، مما أفسح الطريق أمام الغزاة الذين حطموا أقدار الأمة المالية والاجتماعية، ووقفت الأمة الإسلامية تبكى على أطلال الماضى، ونامت على أحلامه، حتى إن من يَطَّلِعُ على تراث الأمة، لا يكاد يُصَدِّقْ أن هذا الخَلَفَ مِنْ ذاك السَّلَفِ.

ونحن لا نقول هذا للإثارة؛ لأن الخلاف بين المسلمين وتنمية أسبابه، خيانة عظمى لأهداف الإسلام، ولقد كنا نبكى بدل الدموع دما، يوم أن دُمِّرَت العراق فى حرب الخليج، وقبلها بكينا على ما فعلته هى فى الكويت، وكانت نتائج تلك الكوارث مروعة؛ لأن الأرقام تبين أن ما أُنفق على هذه الحرب بلغ أكثر من ٦٠٠ مليار دولار، علاوة على من سقطوا قتلى وجرحى، وهذا المبلغ كان يكفى لإسعاد أمة الإسلام على اختلاف قاراتهم واختلاف لهجاتهم، ولكن للأسف، ضاعت الأموال، وضاعت الأمة، وها نحن أولاء الآن نحاول أن نصلح ما أفسده الدهر، ولقد حدث هذا من خمول العقيدة فى نفوسنا، وزعزعة إيمان الكثير، وعدم الاستقامة على الجادة، والسلوك المنحرف، والفقه المفقود، والوعى الغائب عن الوجود، وأمة هذا حالها، أغرَتْ أعداءها فانتهزوا الفرصة ودمروا البلاد، وأهلكوا الحَرْثَ والنسل، وقضوا على البقية الباقية من مقومات شخصية الأمة.

وهنا، كان لابد للخلاف أن يظهر، فبدأنا نرى الشباب الذى ينتسب إلى فرقة معينة، وآخر إلى مذهب محدد، والبعض يدعو إلى اللامذهبية، وهذا من أهل القرآن، وذاك من أهل الحديث، ومع ذلك، كثرت الأحزاب السياسية، وتنوعت، ولكل حزب

أتباع وهم بما لديهم فرحون، وبين هؤلاء وأولئك تتبادل الاتهامات المختلفة، من التكفير، والتفسيق والنسبة إلى البدع والانحرافات والعمالة، والتجسس، مما لا يليق بمسلم أن ينسبه إلى أخيه المسلم، فضلا عن الإعلان عنه والجهر به بين الناس، بل والطامة الكبرى حين وصل ذلك إلى الاعتداء على الأبرياء وإرهاب الآمنين.

إن الأئمة المجتهدين اختلفوا، ولم نلحظ أن واحداً منهم تطاول على الثانى، لكن المختلفين فى الوقت المعاصر مع أنهم ليسوا مؤهلين للاجتهاد، فإنهم يرفعون أصواتهم عالية عندما ينقلون رأياً من فقيه أو كلمة من متحدث، فيبيح الواحد منهم لنفسه أن يعتلى منبر الاجتهاد، ويتعالى على العباد، ويصف غيره بالجهل، ويقوم بكيل التهم للناس، ويزعم أنه يذب الخطر عن العقيدة، التى لم يلتزم بآداب سلوكها.

لهذا، فنحن نهيب بالمسلمين المخلصين الذين يبتغون الخير لدينهم، وأمتهم، ويعيشون واقع المأساة من رجال الإعلام الذين يتسمون بنزاهة القصد، وبُعد النظر، وسعة الأفق ـ أن يعملوا على تعديل المسار الفكرى، ومعالجة الأزمة التى تبرز بوضوح من خلال انهيار المؤسسات التعليمية والتربوية التى أنتجت تدنيا لمستوى الوعى والمعرفة، وتفكك علاقاتهما، وإحباط المحاولات التى تعمل على إجهاض الصحوة الإسلامية التى ترتكز على أسس أصيلة.

إننا بحاجة ماسة إلى فكر سليم يقوم على فهم روح الإسلام وغاياته، وقواعده الكلية؛ لكي نتمكن من إعادة طرح التصورات والحلول الإسلامية؛ لتثوب الأمة إلى رشدها، وتضع يدها على جراحها، وتنبذ الخلافات وراء ظهرها، وينصهر الكُل فى بوتقة الأخوة، ويدوِّى نداؤها «حى على الصلاة.. حى على الفلاح.. حى على خير العمل». وعندئذ ستنطلق القافلة، تبنى وتصحح، وتصون ماشاده الأجداد؛ ليصل الماضى بالحاضر، على جسر من التفاهم القائم على المحبة، وساعتها يفرح المؤمنون بنصر الله، إنه ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم.

إن الحق ـ سبحانه وتعالى ـ وضع المعايير، وحدَّدَ الحدود، وفَصَّلَ وبين؛ لتكون الحجة واضحة، وقد ألزمنا أن نتمسك بهذا المنهج لأنه خير، ينشر الفضيلة، ويؤكد دعائم الحق والصدق، ويبن أن لها كياناً وأساساً، فيقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾[1]. ويقول سبحانه: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾[2]. وفى الحديث النبوى الشريف الذى رواه الدارمى، عن عبدالله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال: «خَطَّ لنا رسولُ الله ﷺ يوما خَطًّا ثم قال: هذا سبيل الله، ثم خَطَّ خطوطًا عن يَمينه، وخُطوطًا عن يَساره، ثم قال: هَذِهِ سُبُلٌ عَلَى

---

(١) الأنعام ـ من الآية: ١٥٩.

(٢) الأنعام ـ من الآية : ١٥٣.

كُلٌّ منها شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهَا، ثُمَ قَرأ: ﴿وأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فاتَّبِعُوهُ ولا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾[1].

وفى الصحيحين، عن حذيفة ـ رضى الله عنه ـ قال: «كان النَّاسُ يسألونَ رَسُولَ الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشَّرِّ مخافَةَ أن يُدْرِكَنى، فقلت يا رسول الله، إنا كُنَّا فى جاهلية وشرٍّ، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال ﷺ: نعم، قلت: هل من بعد ذلك الشر من خير؟ قال: فيه دَخَنٌ، قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يستنون بغير سُنَّتى ويهدون بغير هَدْيى، تعرفُ منهم وتنكر، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم، دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم قذفوه فيها، فقلت: يا رسول الله، صِفْهُم لنا. قال ﷺ: قَوْمٌ من جِلْدَتِنَا، يتكلمون بألسنتنا، قلت: يا رسول الله، فما ترانى إن أدركنى ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم، قلت: فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال ﷺ: فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تَعَضَّ على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك» صدق رسول الله.

وروى الترمذى، عن العرباض بن سارية قال: « صلَّى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ثم أقبل علينا، فَوَعَظَنا مَوْعِظَةً بليغة ذَرَفَتْ منها العيون، ووَجِلَتْ منها القلوبُ، فقال قائل: يا رسول الله، كأنها مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فماذا تَعْهَدْ إلينا؟ فقال: أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى الله والسَّمْعِ والطَّاعَةِ، فإنَّ مَنْ يَعِشْ منكم فسَيَرَى اختلافًا

---

(١) الأنعام ـ من الآية : ١٥٣.

كثيرًا، فعليكم بِسُنَّتى وسنَّةِ الخُلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها وعَضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومُحْدَثات الأمور، فإنَّ كُلَّ مُحْدَثَة بِدْعَةٌ وكُلَّ بِدْعَة ضَلالَة»، يعنى لا خروج على الجماعة وحتى لا تكون فتنة لا نستطيع رأب صدعها.

إن الذين تفرقوا واختلفوا، لو أنهم قرءوا وفهموا لتبين لهم الرشد من الغى ولتمسكوا بأهداف الفضيلة، ورتبوا أمورهم على هذا المنهج الكريم، ولكانت السعادة للإنسانية جمعاء، ولتبوأت الأمة الإسلامية مكانتها فى الصدارة والهدى والرشاد؛ لأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين الصادقين، الذين يؤمنون ويوفون بالعهد وهم من خشية ربهم مشفقون، ويتمسكون بالجماعة؛ لأن الله معها يبارك خطاها.

المنبر وأثره فى اتجاه الرأى العام:

يؤدى الإعلام دورًا خطيرًا فى تشكيل اتجاهات الرأى العام، وقد عرفت البشرية ذلك منذ زمن طويل وأمد بعيد، ولعلنا نلحظ أن العرب فى جاهليتهم، كان الشعر وسيلتهم فى نقل معلومة من المعلومات، أو إبراز خبر من الأخبار أو وصف حالة من الأحوال، وقد بلغ من اعتزاز العرب بالشعر لهذا الأمر، أن علقوا بعض القصائد فى جوف الكعبة، إبرازًا لقيمتها الأدبية، وإعظامًا لما تحمله من أخبار يريدون نقلها إلى الحُجَّاج، وإلى الأجيال القادمة.

ولقد كانت هناك أسواق عند العرب، يجتمع فيها أهل الحل والعقد، وأصحاب الرأى، يستمعون للشعراء، وكل منهم يتبارى

فى إبراز فضائل قومه، والانتقاص من القبيلة المعادية؛ لأنهم كانوا يعددون الخصال الحميدة أو الذميمة، وكان الناس يتناقلون الشعر ويرددونه فى محافلهم، فتتطاير الأخبار وينتشر الأمر الذى أراده الشاعر بين الناس.

ثم تنزلت الرسالة المحمدية، على سيدنا محمد ﷺ، وكُلِّفَ أن يخاطب الناس أجمعين، ولما كان أمره غريبًا فى وسط الجزيرة، فقد طلب الله منه أن يُنْذِرَ عشيرته الأقربين؛ لأنه بإنذاره لهم سيسيرون بالأمر وينشرون خبره، وفى ذلك إعلام للناس من حوله بأمور دعوته، يقول الله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[1].

ثم توالت الآيات، التى تبين أن هذا النبى العظيم ما هو إلا منذر ومذكر، ومبلغ عن الله عز وجل، يقول الله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾[2].

ويقول الحق: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ﴾[3]. ويقول جلت قدرته: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[4].

وكان الرسول ﷺ يجمع من آمن به فى أول الأمر فى دار الأرقم بن أبى الأرقم، يعلمهم ما نزل عليه، ويلقنهم مبادئ

---

(١) الشعراء: ٢١٤.
(٢) الغاشية: ٢١.
(٣) الأعلى: ٩.
(٤) الذاريات: ٥٥.

الإسلام، ويحفظهم القرآن الكريم، ثم ينطلقون يوجهون الدعوة من خلالهم إلى غيرهم، فكأن دار بن الأرقم كانت مؤسسة إعلامية يجتمع فيها طلاب الخير وعُشاق الفضيلة، يعرفون حقيقة الأمر، ويستوضحون الأخبار، ثم ينطلقون يبلغون قومهم وذويهم ومعارفهم، وهكذا، وجد الإسلام سبيله إلى الانتشار.

ثم هاجر النبى ﷺ إلى المدينة المنورة، التى أحس فيها بالأمن والاستقرار، فأنشأ مسجده الذى صار مكانا لجذب الجماهير المتطلعة إلى وضوح الرؤية ومعرفة الحقيقة، فاتخذ الرسول ﷺ منبره وصعد عليه، ليسمع الناس الذين تكاثروا من حوله.

ومن على المنبر كانت توجيهاته الواضحة للمهاجرين والأنصار، يخاطبهم الرسول ﷺ فيدعوهم إلى إفشاء السلام وإلى التصافح والتهادى وصلة الأرحام، مع العناية والرعاية بأمر الوالدين والرحمة بهما، كما يوجههم إلى مَدْ يد البر والرحمة لليتيم، ويؤكد على شحن القلوب بالرحمة؛ لأن التراحم هو أول ما يطالعنا به القرآن الكريم وصفا لربنا الرحمن الرحيم، ويحث الذين التفوا من حوله أن يعملوا على حفظ الإنسان وتنمية قدراته، وتفجير طاقاته، مع توفير البيئة الأسرية الصالحة له، حتى قبل أن يولد عن طريق اختيار الأب والأم كل منهما للآخر؛ لترعى الطفل فى جسده وعقله وتعمل على سلامته وتعليمه وإعداده للحياة؛ ليكون عنصرا مؤثرا فى مجتمعه، وكان يؤكد على أن التفاضل فى الحياة بين الناس بالتقوى والعمل الصالح،

وكان يقدم الإنسان المبدع ليصقل مواهبه، ويكون مركز إعلام قوى لنشر ما تلقاه وتعلمه ووعاه.

وكان صلوات الله عليه وسلامه ـ وهو من فوق المنبر ـ يتعرف على وجوه القوم الجالسين ويتطلع إلى ما يعلوها أثناء إلقائه الحديث من انطباعات، وبفراسته ﷺ يكتشف صاحب الاستقبال السريع والتأثر الجيد بالعظة التى تُلقى، فكان يعمل على أن يقدم النماذج الطيبة الصالحة التى تتسم بالمهارة والفراسة، لتؤدى دورًا إيجابيًا فى المجتمع.

وكان ﷺ من خلال لقاءاته مع أصحابه فى مكة قبل الهجرة. اكتشف ما يتمتع به مصعب بن عمير، من نباهة فى الفكر، وصواب فى الرأى، وكياسة فى الحديث، ولباقة فى الرد، فاتخذه سفيرا أول للإسلام خارج حدود مكة، ولقد أظهر براعة فى الفطانة، والنباهة والسياسة، مما كان له أكبر الأثر فى نشر الإسلام فى يثرب، بسهولة ويسر، ففتحت أبوابها لهجرة المسلمين المضطهدين فى مكة، ثم هاجر النبى ﷺ إليها، وفى المدينة اكتشف مواهب كثيرة، دفع بهم رسول الله إلى المجتمع؛ ليقدموا الخدمات وينشروا ما لديهم من علوم ومعارف.

وكان الفضل فى اكتشاف هذه المواهب، يرجع إلى فراسة رسول الله ﷺ أولاً، وجمع المسلمين واجتماعهم بين يديه فى المسجد ثانيًا؛ إذ كان المنبر من أعظم الوسائل لاكتشاف المواهب

وصقلها، والدفع بها إلى معترك الحياة.. فمثلاً، نجد رسول الله ﷺ يشجع «ثَابِتَ بن قَيْسٍ» على الخطابة، وكان خَطِيبَ الأنصار الْمُفَوَّه، الذى يهز القلوب ويحرك الأحاسيس، وكذا كانت «أسماء الأنصارية» خطيبة النساء، فشجعها وحَسَّنَ رأيها. وكذا خالد بن الوليد، الذى أرهق المسلمين فى غزوة أُحُد، فقدر الرسول ﷺ مواهبه الحربية عندما أسلم، وأسند إليه المهام الكبيرة وسماه «سيف الله المسلول»، إبرازًا لتلك المواهب، وكان ﷺ يقول لصحابته: استقرئوا القرآن من أربعة: عبدالله بن مسعود، وسالم مولى أبى حذيفة، وأبى بن كعب؛ ومعاذ بن جبل، ذلك لأنه وجد فيهم تفوقا فى الحفظ، وسلامة فى النطق، وحسنا فى الأداء.

كما أن أُبَىَّ بن كعب، ظهرت مواهبه فى تعلم اللغات، فكلفه الرسول ﷺ تَعَلُّمَ اللغة العبرية، فضلا عما يجيده من لغات أخرى. وضمه إلى كُتَّاب الوحى، وائتمنه على قراءة الرسائل التى ترد من الجهات غير الناطقة بالعربية، وإعداد الرد عليها.

وهناك أم عطية، تلك الصحابية التى ظهر تفوقها فى تمريض الجرحى ورعاية شئونهم، فوفر الرسول ﷺ لها هذه الفرصة التى تجيد العمل فيها، فضلا عمًّا يعود عليها منها من رضا الله ورسوله والمؤمنين المجروحين.

تلك مجرد أمثلة، وهناك غيرها من عشرات الأمثلة الأخرى التى لا يتسع المقام للتعرض لها..

إن المنبر مركز إعلامى يُغَيِّرُ اتجاه الرأى العام إلى الأفضل، وقد اتخذ منه الرسول ﷺ وسيلة إلى توحيد الصف الإسلامى، وتأكيد معانى الإخاء فى المجتمع الجديد الذى بدأ يتشكل، ولابد أن تكون هناك حماية أمنية داخل الجزيرة العربية، لذلك أحس القوم بأن روحا جديدة تسرى فى أجسادهم، وكانت السعادة غامرة لهم، فكل واحد منهم اتخذ من نفسه وسيلة إعلامية يذيع ما سمعه ووعاه، خاصة بعد أن سمع قول الرسول ﷺ «نَضَّرَ الله وجه امْرِئٍ سَمِعَ مَقَالَتِي فَحَفِظَهَا وَوَعَاهَا، وأدَّاها كَمَا سَمِعَهَا. فَرُبَّ مُبَلِّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ». صدق رسول الله.

ولما استتب الإسلام واستقر، كاتب الرسول ﷺ المُلُوكَ وراسلهم، وشرح لهم الإسلام، وبين لهم ما فيه من سماحة ويسر، وأنه دين يتفق مع الفطرة، ويدعو إلى الحوار، واليقظة الدائمة والعقل الواعى؛ لأن العقل كالسِّراج والشَّرْعَ كالزيت الذي يمده، وأن الإسلام دعوة إلى التسامح، والتلاقى فى الحب والإخاء ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾[1].

وإذا كان الرسول ﷺ قد بعث برسائله إلى الملوك والحكام، يدعوهم إلى الإسلام لأنه دين عالمى، وهو ختام وحى السماء ـ فمن الملوك من رد ردا جميلا، ومنهم من غلب عليه الغرور والكبر، فرد عليه رد غير كريم.

لقد عبر الإسلام حدود العروبة إلى أرض حضارات قديمة، وأصبح العرب بعض الإسلام، كما أصبح الإسلام بعض العرب،

(١) آل عمران ـ من الآية: ٦٤.

وانتشرت العربية مع الإسلام؛ لأن كتابه أُنْزِل بلسان عربى مبين، وعلى رسول عربى فى أم القرى العربية؛ ولَذا فإن الْعرب هم أول من حمل أمانة الإسلام إيمانا ونشرا وجهادا، وبالفهم السمح لاختلاف الألسنة واللهجات والألوان والبيئات والعادات والتقاليد والقدرات وامتداد المكان، وتعاقب الزمان، ومتغيرات الحياة ـ خرج الإسلام من الجزيرة العربية، إلى العالم، وتتابعت رحلته شرقا وغربا وشمالا وجنوبا، ويأبى الله إلاَّ أن يتم نوره.

ولقد لقى الإسلام فى مساره صنوفا من التحديات، وتجلت حيوية معتنقيه فى قدرتهم على مقابلة هذه التحديات بأن جعلوا من عقباتها معابر إلى آفاق أوسع وتحملوا ما نالهم من الأذى البدنى والاجتماعي والاقتصادى بصبرهم وثقتهم فى وعد الله القائل: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾[1]؛ إذ كونوا قاعدة بشرية حملت أمانة التبليغ، وسارت فى الآفاق تدعو إلى الإسلام، وأدب الحوار فى أذهانهم، والصبر فى قلوبهم، والثبات على ملامحهم، فكانوا لا يهابون من البشر؛ لأنهم يؤمنون بكرامة الإنسان، ويحافظون على حقوقه وواجباته. وكان الواحد منهم يقول: إن احترامى للآخرين ينبع من احترامى لنفسى؛ لأن الناس إما أخ لى أو نظير لى فى الخلق.

لقد نشأ احترام ذات الآخرين عندهم نتيجة لثمرة التربية الإيمانية، وممارسة تطبيق تلك التربية فى البيت والشارع وأى مكان. من أجل ذلك انتشر الإسلام؛ لأن وسائل الإعلام فيه

(١) غافر: ٥١.

نظيفة، وموصلة جيدة، وكان فى إقبال الشعوب التى أسلمت على تعلم اللغة العربية، وحبهم لهذا اللسان، ما دعاهم إلى المساهمة الإيجابية فى صنع الحضارة الإسلامية.

والذين شاركوا فى نجاح خط الإعلام الإسلامى، وتحملوا مسئوليتهم أمام الله وأمام التاريخ، وقاموا بالتنسيق لجهودهم، حيث بذلوها بصدق من أجل صناعة مستقبل للإسلام أفضل، لهم أجر كريم، وإذا كنا نتحدث عن الإعلام فى الصدر الأول للإسلام، فإننا لا ننسى الهجرة الأولى إلى الحبشة، فإن رسول الله ﷺ قال لأصحابه: «لو خَرَجْتُمْ إلى الحَبَشَة، فإنَّ بهَا مَلِكًا لا يُظْلَمُ عنده أحدٌ، وهى أرض صِدْقٍ، حتى يَجْعَلَ اللهُ لَكُمْ فَرَجًا ومَخْرَجًا». ومع أنها كانت محدودة الهدف والمدة، فإنها تركت أثرا فى المكان الذى حل فيه الصحابة فيها؛ ولهذا نقول بثقة واطمئنان: إن المنبر رسالة إعلامية خطيرة، تتضاءل أمامها كافة الأجهزة الإعلامية الأخرى للأسباب التالية:

١ ـ لأن المنبر له رسالة مستمدة من رسالة المسجد، ونابعة منه؛ إذ المسجد هو المكان المقدس الطاهر المبارك الذى تغشاه الرحمة، وتتنزل فيه الملائكة، ويشهده الصالحون.

٢ ـ الذين يدخلون المسجد ليستمعوا إلى ما يقال من فوق منبره، دخلوا بقلوب نظيفة، وأجساد طاهرة وزينة كاملة، وجلسوا فى أماكن طاهرة، وفى جو مشحون بالصفاء والنقاء.

٣ ـ أن ما يقال من فوق المنبر، هو إما توجيه إلى خلق فاضل، أو تصحيح لقيم غَيَّرَ البعض أهدافها، ويستند الخطيب فى علاج أى مشكلة إلى قول الله تعالى أو قول رسول الله ﷺ، أو إلى آراء بعض الصحابة أو العلماء أو الفقهاء. ومع أصالة الماضى، فإن الخطيب ينقله برفق؛ ليعالج مشكلة اجتماعية، أو يصحح أفكارًا خاطئة، مستدلا على ذلك بالقرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة التى مارسها الرسول ﷺ أو قالها، أو أمَرَ الصَحابَةَ بفعلها.

٤ ـ الذين يحضرون إلى المسجد عندهم شفافية روح، وطهارة حِسٍّ، واستعداد لتقبل ما يقال، والإنصات التام لسماع العظة.

٥ ـ منهج الإسلام للنبى ﷺ، أن يُبَلِّغ ما أُنْزِلَ عليه من ربه، كقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[1]. والمنهج المتكامل للإسلام هو أنه يعنى بتربية الشخص بناء متكاملاً من الناحيتين: الأخلاقية والسلوكية؛ ليكون هناك إعداد للفرد المسلم ليعيش حياة صالحة سعيدة فى الدنيا، يعمل فيها لنفسه وللمسلمين من حوله، كأنه يعيش فى الدنيا أبدًا، ويعمل فى الوقت نفسه للحياة الآخرة كأنه يموت غدًا، فالمنبر ـ إذن ـ يوجه الإنسان ليصنع لنفسه حياة فاضلة على هذه الأرض،

(١) المائدة ـ من الآية: ٦٧

وبنفس الشعور يؤمن بأن عمله ما هو إلا مقدمة حتمية للحياة الآخرة، كقول الله عز وجل: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾(١).

٦ ـ أن الخطيب على المنبر يتكلم بلغة العصر؛ لأنه يشعر أن المسجد للجميع، فأمامه عالم الذرة، وطبيب العيون، والتاجر، والصانع، والزارع، والمهندس، والمحاسب، والأمى الذى لا يعرف هذا من ذاك، فهو يدعو للعمل من أجل الدنيا بمثل ما يدعو للعمل من أجل الآخرة، يحث كل شخص على أن يتقن عَمَلَهُ وأنيُجَوِّدَ صنعتهُ، وأن يكون أميناً صادقاً، وأن تكون علاقته بالناس جميعا طيبة، وسلوكه مُرضياً فى أى مكان يكون فيه الإنسان، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤﴾﴾(٢). وفى الأثر: أُمِرْتُ أنْ أُخَاطِبَ النَّاسَ عَلَى قَدْرِ عُقُولِهم.

توجيهات لمن يصعد المنبر:

إن الخطيب عليه أن يستشعر أن رسالته خطيرة جدًّا؛ لأنه يُؤَصِّلُ قيمًا، ويعالج أمورًا، ويغير اتجاه الرأى العام، لذلك: عليه

(١) آل عمران ـ من الآية: ٣٠.

(٢) إبراهيم : ٤.

أن يرعى الله أولاً فى أداء رسالته، وأن يكون دقيقًا أمينًا، فَطِنًا، لَبِقًا، حَسَنَ التصرف، بعيدًا عن التكلف، مقدرًا هذه المكانة الجليلة التى يرتقيها، والدرجة العالية التى يقف فيها، ولذلك عليه:

١ ـ أن يكون متواضعا، هاشا، باشا، حسن الهيئة، نظيف الهندام، رائحته طيبة؛ لأنه مع استعماله السواك، فإنه يمس الطيب، مع تبديل ملابسه بين الحين والحين.

٢ ـ أن يلبس أفضل وأجمل ما عنده فى يوم الجمعة، وأن يذهب مبكرا إلى المسجد، وأن يجلس بوقار وأدب واحترام.

٣ ـ إذا حان وقت الخطبة، صعد على المنبر برجله اليمنى، وهو يسبح الله، ويسأله التوفيق بصوت غير مسموع، وأن يرفع رجله اليمنى عند كل درجة يصعدها على المنبر، وهو يردد: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾﴾[1].

٤ ـ إذا انتهى إلى نهاية المنبر التفت بوجهه كله إلى الجمهور، وألقى عليهم السلام، ثم يجلس فى أدب وخشوع وحياء

---

(١) طه : ٢٥ ـ ٢٨..

وتواضع، ولا يكثر من الحركة، حتى يفرغ المؤذن من الأذان، ثم يقف ليلقى خطبته التى تكون فى موضوع واحد، يعالج فيها مشكلة من المشاكل الاجتماعية، ويصف العلاج من هدى الإسلام وتوجيهاته، ولا يطيل؛ لأن الكثير من الكلام ينسى بعضه بعضا.

وفى الخطبة الثانية، يصحح بعض المفاهيم الفقهية، ويوضح للناس أمرا من أمور الدين، بحيث لا تزيد الخطبتان على عشرين دقيقة؛ لأن من فقه الرجل قصر الخطبة وإطالة الصلاة، ونحن نعلم أن بعض الأمراض التى أصابت بعض المسلمين، تجعلهم يحتاجون إلى تجديد الوضوء، ونحن أُمِرْنَا أن نُخَفِّفَ على الناس ولا نشق عليهم.

٥ ـ عند الانتهاء من الخطبة والنزول من على المنبر، ينزل الرجل برجله اليسرى أولاً، ويقف بها على الدرجة حتى يحرك اليمنى، وهكذا حتى ينتهى بالنزول برجله اليسرى، وهو يحمد الله الذى وَفَّقَهُ وأعانه.

٦ ـ والخطيب، وهو صاعد المنبر، عليه أن يتذكر أن هذا مرتقى الصالحين، ومكان الطيبين، كم صعد عليه من العلماء الذين أخلصوا لله، فليحاول أن يسير على نهجهم، ويكون قدوة صالحة، ونموذجا طيبا، يجعل الله أمام عينيه، ويتمثل رقابته عليه.

واعلم ـ أيها الخطيبْ ـ أن الخطبة تقوم مقام الركعتين، فأتْقِنْ أداءك، وصَحِّحْ عباراتك، ولا تُنَفِّرْ الناس منك، فإن الله لعن

الرجل الذى يؤم قوما وهم له كارهون، وضَعْ فى اعتبارك أنك تعرض فكرك على الجماهير، فَنَوِّعْ موضوعاتك لتعالج المشاكل برفق ولين، وتوجيه بالحسنى وتنبيه الغافلين، وذَكِّرِ الناس بأيام الله ونعمه، واجعل قراءتك فى الصلاة ما يؤكد المعنى الذى وجهت إليه فى خطبتك، وكن عَفَّ اللسان، سليم الصَّدْر، بَسَّامًا فى وجوه الناس.

إن الكلمة التى تقولها من فوق المنبر لها خطورتها؛ لأن الناس يسمعون منك ولا يناقشون، فتخير الكلمات وضع العبارات، وسُقِ الأدلة بين يديك، ولا تورط نفسك فى ذِكْرِ شىء يجرح شعور الآخرين؛ فإن الله عندما أرسل موسى وهارون عليهما السلام إلى فرعون قال لهما: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾[1]. ورسولنا ﷺ، كان يقول من فوق المنبر: «مَا بَالُ أقْوَامٍ يَقُولونَ كَذَا، وما بَالُ أقْوَامٍ يَفْعَلُونَ كَذَا» ولَمْ يُلَمِّحْ بِأشْخَاصٍ، ولم يُصَرِّحْ بأسْمائِهم.

(١) طه: ٤٤.

دور المسجد فى التنشئة الصحيحة

الإنسان هو صانع الحضارة؛ لأنه بعقله يفكر ويبتكر ويخترع؛ لأن الحاجة هى أم الاختراع. وكلما احتاج الإنسان إلى شىء فكَّرَ وخَطَّطَ، ووضع البرامج والحلول والنظريات؛ كى يحصل على أرقى الأشياء التى تفيده وتنفعه وترقى به فى الحياة. وهكذا يؤدى الفكر دورًا مهما فى حياة الإنسان، ومن ثَمَّ وجب الاهتمام به منذ مولده، والعمل على تنشئته تنشئة فكرية تتسم بالنضج المبكر والتفكير السليم، والأداء الجيد.

إن أساس ذلك منذ بزوغ فجر الإسلام وإلى اليوم هو المسجد؛ فهو الذى يهتم بالطفل ويرعاه، ويعمل على توسيع مداركه، وترقيق مشاعره، وتهذيب وجدانه، . . إن كل يوم تشرق فيه الشمس وترسل بأشعتها الذهبية لتبعث النور فى الكون والدفء فى الأجساد، ويسعى الكل إلى عمله للإنتاج والتعمير والبناء ـ يكون هناك فى كل مكان مسجد يُفْتَح، أو مسجد يقام، ومن هنا يتساءل بعض الناس: هل هذه المساجد التى أنفقت عليها ملايين الملايين من الأموال، ألها دور يتناسب مع حجم ما أنفق على تشييدها، أم أنها أبنية فارغة المعنى، تشغل حيزًا من الأرض ولا تأثير لها فى الكيان الاجتماعى؟

ونقول بأن المسجد بناء ـ مادة ـ والمادة صَمَّاء والبناء كذلك، وكُلٌّ من البناء والمادة يحتاج إلى مَنْ يحركه؛ ليكون هناك التفاعل فى المجتمع وتأدية الرسالة لصالح الإنسان.

ومما لا يختلف فيه اثنان: أن المسجد كمبنى يحتاج إلى عقل مفكر، ولسان ناطق، ومن خلال ذلك يتحرك المسجد ليؤدى دوره فى البيئة المحلية، وينشر ضوءه في الآفاق.

والمسجد جامعة شعبية تؤدى رسالتها على مر العصور، ويشهد لها من تخرجوا فيها، وقادوا سفينة العمل السياسى والاجتماعى والاقتصادى فى شتى مجالات الحياة، وإذا كان الأمر كذلك فإننا نلحظ فى هذه الأيام أنه قد تعددت أجهزة الإعلام ما بين مسموعة ومقروءة ومرئية، وصار لكل جهاز جمهوره الذى يعشقه وقياداته التى تبذل الجهد فى التخطيط لتطوير رسالة هذا الجهاز مع ما يبذل فى سبيل ذلك من جهود مالية وفنية تضمن للجهاز الاستمرار والاطراد مع دقة التخطيط لجذب الأنظار والعقول.

مكانة المسجد في حياتنا:

نلحظ أن المسجد ما زال يمثل المكانة العليا من بين الأجهزة الإعلامية؛ لأن منبره يمثل أقوى صوتٍ يُوَجَّه للناس، ذلك أن ما يقال عليه يمثل رسالة الله التى حملها الأنبياء، وغايتها إسعاد الناس، ونشر الأمن والاستقرار، وإيجاد تنمية شاملة بجدٍّ واجتهادٍ لكل مرافق الحياة.

إن كان المسجد يواكب الحياة ويتفاعل معها، ويؤدى جميع الخدمات التى تحتاج إليها المنطقة الواقع بها، وأهم وظيفة للمسجد ـ بعد العبادة ـ التعليم، لأن رسول الله ﷺ مَارَسَ وظيفة التعليم للمسلمين فى بيته وفى دار الأرقم بن أبى الأرقم وفى المسجد

الذى كانت تُعْقَدُ به حلقات العلم، وظلت وظيفة المسجد مع العبادة «التعليم» بل إنها اتسعت فكانت مكانا للقضاء ومجالاً لعقد ألوية الجيوش المحاربة، وكانت تستقبل فيه وفود القبائل وسفراء الدول.

والمسجد فى رحابه يتدارس المسلمون أمور دينهم ودنياهم، وكل ما يتعلق بشئون الحياة؛ لأن علاقة الإنسان الروحية بربه لم تكن قاطعة له عن علائق الدنيا، والمسجد فى المجتمع المعاصر يستطيع أن يقدم خدمات جليلة تلبى احتياجات المجتمع، وتحافظ على كيانه الاجتماعى، وتدفع به إلى التقدم والازدهار.

المسجد والأطفال:

يظن بعض الناس أن الأطفال يُمْنَعُونَ عن المساجد، ويَرْوُونَ فى ذلك بعض النصوص الواهية، مثل: «جَنِّبُوا صِبْيانَكُمْ ونِسَاءكُم المَسَاجِد»، وهذا فهم خاطئ، حيث لم يَرِدْ ذلك بأسَاليب صحيحة، وأسانيد قوية، بل المعروف أن المسجد جامعة شعبية، يدخل إليها كل أفراد الشعب للتعلم بلا قيد أو شرط، أو التقيد بسن أو طلب رسوم، وهذا الشرط مباح للذَّكر والأنثى، فطلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، وطفل اليوم هو رجل المستقبل، وعلى المجتمع أن يحرص على تأسيسه من أول لحظة على القيم الأخلاقية العالية، التى يتعلمها من المسجد.

إن المسجد يستوعب طبقات الشعب بلا تفرقة بينهم، ويقدم زاده العلمى لينهل منه الجميع، خاصة الطفولة التى هى أساس

المستقبل وحاملة راية الإسلام عَمَّا قريب، كما أن المرأة فى الإسلام قد كُرِّمَتْ ومنحها الإسلام من الحقوق ما لا يخفى على أحد، ووضع لها الضوابط التى تصونها من عبث العابثين فَنَضَّرَتْ جوانب الأدب العربى، ورققت مشاربه، وأضاءت مذاهبه، وزانت فنونه بما أثمرت قريحتها، وذلك عندما فتح الإسلام أمامها باب الحرية والتكريم والتعليم.

ثم جاءت التعليمات النبوية «لا تَمْنَعُوا إمَاءَ الله مَسَاجِدَ الله».

وإذا كان الأمر كذلك فتعالوا معنا لنقف أمام ساحل الإسلام العظيم، ونغترف من فيضه ما يفتح لنا الباب وينير لنا جوانب الحياة؛ لنتبين على ضوء ذلك كيف اهتم المسجد بالطفولة، وما هو العطاء الذى يقدمه إليها، ونقف معًا لنلحظ ما قدمه الإسلام فى هذا المجال.

أولاً الاختيار:

قبل أن يلود الطفل ويظهر أثره فى الوجود حَمْلاً نرى أن الإسلام يوصى أى رجل أو فتاة، كلا من يرغب فى الزواج، أن يكون هناك اختيار مبنى على الصلاح والتقى والأخلاق والفضيلة، حيث تخرج الطفولة إلى الحياة وهى سعيدة بدفء عاطفة الأسرة التى ترابطت على تأسيس الكيان الاجتماعى للأسرة السعيدة التى تُبنى على التقوى والصلاج وعلى الحب والود والعلاقات الكريمة؛ لهذا كان توجيه الرسول عليه الصلاة والسلام للرجل ولِوَلِىِّ أمر الفتاة أن يكون الاختيار لشريك الحياة

مبنياً على الأخلاق والصلاح: «إذا أَتَاكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وخُلُقَهُ فَزَوِّجُوهُ، إلاَّ تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فى الأَرْضِ وفَسادٌ كَبِير».

وإذا تم الاختيار على تلك الأسس النبيلة فإن العلاقة بين الزوجين تكون فى وفاق، إذا أحب أحدهما الآخر أكرمه وإن وُجِدَ نفور فلن تكون هناك إهانات متبادلة ولا شتائم تصل إلى سمع الآخر فيكون النفور والقطيعة؛ لهذا جاء التنويه فى القرآن الكريم وعلى لسان النبى العظيم سيدنا محمد ﷺ بأن الاختيار لشريك الحياة يتم فى إطار الدين والخلق والفضيلة، ولا يكون للمال أو الجاه أو الجمال تأثير وتغليب على الارتباط، والغرض من ذلك تحقيق المصلحة العامة للطفولة فى المستقبل، فالبيوت التى تُبنَى على دين يدوم بينها الوفاق، وتنشأ الطفولة فى حضن الأسرة السعيدة وهى تشعر بالعواطف الطيبة النبيلة والعلاقات الكريمة.

الحَمْل:

ينظر الإسلام إلى المرأة الحامل نظرة تقدير واحترام، ويوصى برعاية أمرها، وعدم إزعاجها، أو إدخال أى شىء يُنَغِّصُ عليها حياتها؛ لأن مشاعرها وأحاسيسها تنعكس على الجنين الذى بين أحشائها، وأمر الإسلام بالإنفاق عليها وتدبير أمر معيشتها؛ عملاً على راحة الجنين، وعدم إدخال ما ينغص عليه حياته المستقرة، يقول الله تعالى: ﴿وَإِن كُنَّ أُولاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾(١).

---

(١) الطلاق ـ من الآية: ٦.

وهناك رسائل وضعها علماء الإسلام فى العناية بالحامل، وكيف نُدْخِلُ البهجة على نفسها ونُرضيها حتى تكون فى حالة معتدلة نفسيا؛ حفاظا على طفل المستقبل.

ثالثاً ـ الميلاد:

فإذا بدأ الجنين يخرج إلى الوجود فإن المسجد يقدم النصائح إلى الزوج الذى أصبح يحمل لقب الأبوة، والمرأة التى تحمل لقب الأمومة، فيقول للأب: عليك أن تنفق على زوجتك من مال حلال ولا تعكر صَفْوَهَا؛ لأن الولد وهو يرضع من لبنها سوف يأخذ من سماتها الشخصية ويتأثر بحالاتها، وتتكون لديه العوامل النفسية من أمه وهى ترضعه.

ويقول للأم: أَرْضِعى طفلَك وَاعْتَنِى به، ولا تُهْمِلى شأنه، واعلَمِى أن الرضاعة الطَبيعيَة أهم للمولود من أى شىء آخر مهما كان قدره، وتعالوا بنا نقرأ ما قاله ربنا فى هذا: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾(١).

كما أمر بإسكان المرأة فى بيت مناسب يكفل لها الراحة والطمأنينة وعدم الإزعاج.. يقول الله تعالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ﴾ (٢).

---

(١) البقرة ـ من الآية : ٢٣٣.

(٢) الطلاق ـ من الآية : ٦.

ثم يقول المسجد للأب عندما تستقبل المولود: أذِّن الأذان الشرعى فى أذنه اليمنى بصوت هادئ حتى لا ينزعج الطفل، ثم ردد ألفاظ الإقامة فى أذنه اليسرى.

وعليك أن تحلق شعره، وأن تتصدق بزنته مالاً، وأقِمْ وليمة تدعو إليها الأهل والأصدقاء ابتهاجاً بمقدم المولود «عقيقة».

اصطحاب الأطفال إلى المساجد:

المسجد بيت كل تقى، يذهب الوالد المسن فيأخذ طفله معه، وهناك يجد الطفل المكان المهيأ له ولأمثاله، بحيث يتعلم من رؤيته للمصلين ما يقومون بأدائه وينطبع فى ذهنه مظهر العبادات التى تؤدى لأن لها تأثيرًا فى الكيان النفسى، حيث تسمو بالشخص وترقى به؛ ليكون نموذجًا عظيما فى التعامل الاجتماعى.

من هنا يجب على الأب أن يكون قدوة صالحة أمام طفله، ويحوطه بالتوجيه على قدر مداركه، والمسجد يعد مكانًا للطفولة، فإن الإسلام يبيح أن يهيأ هذا المكان بكل شىء يجذب الأطفال ويحببهم إلى المكان، من حيث إيجاد الوسائل المسلية، فى المكان الملحق بالمسجد للأطفال مثل المكعبات التى يبنى منها الأطفال القصور، أو ما يتراءى لخيالاتهم، وهناك كذلك الأراجيح، وما شاكل ذلك مما له تأثير على عقلية الطفل؛ لنستطيع أن نشكل اتجاهاته، وينمو معه فكره الذى يسمو بالبناء والتعمير.

إن الطفولة صانعة المستقبل، ومن هنا جاء اهتمام المسجد بها، حيث أرشد القرآن الكريم إلى الاهتمام بالطفولة قبل الإيجاد،

وبعد الولادة، إلى أن يصل الطفل إلى خمسة عشر عاما، فتكون الملاطفة والمداعبة، وإلى هذا أشار الامام على بن أبى طالب كرَّم الله وجهه: «لاعِبْ وَلَدَكَ سَبْعًا، وأدِّبْهُ سَبْعًا، وعَلِّمْهُ سَبْعًا، ثم اتْرُكْ لَهُ أمْرَهُ».

إن الصالحين، من عباد الله يدعون ربهم صباح مساء: «رَبَّنَا هَبْ لَنَا من أزْوَاجِنَا وذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أعْيُنٍ»، ولن يكون المولود قرة عين للأب والأم إلَا إذا قاما على توجيهه وربطه بالمسجد من أول يوم، والإمام الغزالى له رسالة عظيمة يحثنا فيها على أن نجعل الأطفال فى سن واحدة يتعامل بعضهم مع بعض، ونحن نراقبهم، حتى يألف بعضهم بعضا، ويأخذ بعضهم المعلومات من بعض، ثم علينا أن نترك لهم وقتًا للعب الحر، كترويح عن النفس مع إعطائهم قسطًا من الراحة وتفقد أحوالهم بين الحين والحين.

المسجد والتنشئة الاجتماعية:

الرسول عليه الصلاة والسلام له توجيهات متنوعة وكثيرة فى كيفية التعامل مع الأطفال، منها قوله (ﷺ) «عَلِّمُوا أوْلادَكُمْ الصَّلاةَ لِسَبْعِ سنين، واضرِبُوهُمْ عليها لعَشْرِ سِنِينَ، وفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فى المَضَاجِعِ»؛ ذلك لأن الصلاة تعَوِّدُ الولدَ حُبَّ الله وحب المسلمين، وفى الوقت نفسه تغرس فيه حب النظافة وتدربه على العمل الجماعى المنظم، والانضباط على أسلوب معين فى اتباع القائد، وتغرس فيه الانتماء للوطن الذى يصلى على أرضه، وتنهض به ليواكب الحياة الاجتماعية، فيحيا بين الناس بخصائص

نفسه الطاهرة وروحه المهذبة، والصلاة مع كونها عبادة تغرس فى روح الطفل هذا، فإنها تنمى فيه حب الناس والتعاون معهم، والمساواة ،والنظام، ويخرج الطفل منها وقد تعلم قراءة القرآن، فيتعود لسانه سلامة النطق، ويستفيد من القراءة التى يقرؤها الإمام فيتعلم لغة قومه ويحسن التعبير.

المسجد رسالة متواصلة في التنشئة المتكاملة للطفل:

ومما لا شك فيه أن الأسرة لها تقاليدها وعاداتها، وأن الطفل ينطبع فى ذهنه ما يجرى فى ساحة المنزل وما يجرى فى ساحة الأسرة من علاقات وتعامل؛ لهذا كان تعليم المسجد للآباء أولاً أن يتعاملوا بعضهم مع بعض بالكلمة الهادئة، وخفض الصوت، مع نشر الأمن والحرية فى رحاب المنزل، بحيث لا يتجسس أحد أفراد الأسرة على الآخر، ولا يكون هناك دس لكلمات منفرة أمام الأطفال.

إنَّ الغرض من ذلك أن الطفل فى المسجد سيتدرب على صِدْق الكلمة وحسن الأداء مع شعوره بالحرية والتعبير عن ذاته؛ لأنه سوف يستمع إلى إمام المسجد يوم الجمعة، وهو يخطب فى الناس يحثهم على نشر الرحمة، والتعاون بأمانة، وعدم ترويج الإشاعات، وهذا عطاء المسجد للطفولة مع الكبار. والطفل سوف يتأثر بما يسمع؛ لذلك لابد أن ينعكس هذا فى الأسرة حتى يكون هناك تكامل بين دور المسجد والأسرة، فكلاهما متمم للآخر.

إن الطفل فى المسجد سوف يلتقى بقُرنائه ونظرائه، وهناك يتم التعارف وتبادل الآراء، والمسجد يسهم فى تعريفهم بمبدأ استعمال الشورى عند طرح الآراء، وهذا أسلوب فيه حماية للطفولة، وتعويدهم على التفكير السليم، وطرح الفكر الذى طرأ فى عقولهم على أسماع الجميع، مِمَّا يعودهم على حرية الفكر وحرية التعبير، وهما من سمات الشخصية الناجحة التى تؤدى دورها متكاملا فى الحياة.

الندوات: تؤدى الندوات والمحاضرات والدروس فى المساجد دورًا عظيمًا فى تفهيم الطفولة ما لها من حقوق وما عليها من واجبات، والطفل وهو يستمع بلا شك سيكون صدى الكلمات فى أذنيه، وينعكس ذلك على فكره، مِمَّا يُوَلّد عنده شخصية متكاملة تؤدى دورها فى الحياة؛ لهذا كان على الآباء أن يفسحوا صدورهم لأطفالهم ليستمعوا إليهم، ثم تكون الإجابة مقنعة لهم، فإن عجز الآباء ذهبوا إلى المربين والمفكرين؛ ليستلهموا منهم الرأى الذى يطرحونه أمام الأطفال ليجدوا منفذا لما يعتمل فى أذهانهم، وإجابة صريحة، حتى لا يذهب بهم سوء الخيال إلى أودية سحيقة، من هنا كان دور المسجد وعطاؤه فى الزاد التثقيفى هو الركيزة العلمية التى يتعلم منها الأطفال الممارسة الميدانية بكافة أشكالها واتجاهاتها فى مجال العلم والثقافة وغيرهما.

حفظ القرآن الكريم: القرآن الكريم كتاب الله، حكَى لنا فيه قصص الأولين وأخبار السابقين، وقَصَّ علينا ذكر بعض الحيوانات والطيور؛ ليجد القارئ فيه متعة نفسية، فإذا ما قمنا

بتحفيظ القرآن لأطفالنا وبدأنا بقصار السور وقصص الأنبياء فإن الطفل سوف تتسع مداركه، ويصفو ذهنه، وتتعلق همته بالعمل العظيم؛ لأن القرآن سوف يُقَوِّمُ لسانه وينمى فكره، ويهذب من سلوكه، ويدفع به إلى الحوار مع غيره فى الأمور العامة والخاصة، ويجعله يؤصِّل فكره ويبنيه على المنطق السليم والكلمات المهذبة، وكل ذلك يؤثر فى نفسية الطفل، فيكتسب مهارات فى الحوار والمناقشة، فيشب على ذلك وتتأصل فى نفسه هذه المعاني الإيجابية بعيدا عن السلبية والانطواء.

مكتبة المسجد: يؤدى الكتاب فى حياة الطفل دوراً خطيراً؛ لأن الكتاب أعظم مُسَامِر، وخيرُ جليس، من هنا يقدم المسجد إلى الطفل الكتاب الذى يتسم بصدق العبارة وحُسْن الصورة، وجمال التعبير؛ لأنه من المعلوم أن القصص الذى يُدَوَّنُ فى الكتاب يعلم الطفل الجود والكرم والشهامة والمروءة، فينشأ وقد تعوَّدَ الصدق من بطل القصة التى قرأها، وانطبع فى ذهنه معالم الخير والفضيلة مما جاء فى الكتاب، فينشأ على سياسة حكيمة، تقيم التوازن والاعتدال بين نواحى شخصيته، ويبتعد عن الصفات المذمومة، كالبُخْل، والجُبْن، والتصنت على الغَيْر، أو استراق النظر إلى الآخرين؛ ليتتبع خُطاهم ويحكى عنهم ما لا يليق.

لذلك يهتم المسجد بالكتاب الذى يُقَدَّمُ إلى الطفل، فيختار له أحسن كتاب، ويقدمه إليه كغذاء عقلى؛ ليجد الطفل نفسه بين سطوره وكلماته، فيتعلم منه السياسة والمهارة فى حُسْن التعبير والأداء.

إن المسجد مكان مُعَدٌّ للصلاة يدخله الإنسان وهو على نظافة فى الملبس والهيئة والجسد؛ لقول الله تعالى: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾[1]. والنظافة سلوك حضارى مع كونها خُلُقًا إسلاميًّا، فيتعلمها الطفل عندما نقدم له كتابا عن الوضوء.

ومما سبق يتجلى ما للمسجد من دور حيوى فى التنشئة السياسية لأطفال المسلمين على الوجه التالى:

- يزيد الوعى السياسى والوعى الوطنى بارتباط الطفل بالمسجد، بصفته وجهة دينية، وكقطعة من أرض الوطن، ويربط الفرد بربه والناس والمجتمع.

- يزيد صلة الطفل بربه ويعلمه أن يحترم الله رب العالمين ويقدسه، وفى العلاقة بين الطفل وربه آداب جليلة سامية تعلم الطفل الدبلوماسية وآداب الحوار والحديث مع كل من هو أكبر منه سنًّا؛ لأن القاعدة: احترام الكبير، والعطف على الصغير، والمصداقية مع الزميل.

- يزيد إمام المسجد من القدرات السياسية للطفل، من الاعتزاز بنفسه، والاستزادة بالمعلومات، وتقديم النصيحة الصادقة، والصدق مع النفس، والصراحة وحرية الحوار مع التمسك بحسن الخلق.

- الصلاة فى المسجد تعلم الطفل مبادئ سياسية جليلة، مثل تعلمه النظام كشكل مصغر للحياة، الرجال فى المقدمة ثم الأطفال

---

(١) سورة الأعراف - من الآية ٣١.

ثم النساء، وكذلك يعلمه المساواة أمام الله لكل المصلين، والمساواة فى الصفوف، والإمامة للأكثر حفظا للقرآن، ثم الأكبر سنًّا، فالمساواة والعدالة والنظام والانضباط مبادئ سياسية يغرسها المسجد من خلال الصلاة، فيتعلم العمل الجماعى مع الالتزام بتوجيهات القيادة واحترامها.

ثم إن حضور الدروس والمحاضرات والندوات بالمسجد يكسب الطفل مبادئ سياسية تعليمية من تعلم أدب الحوار والحرية والمناقشة والإقناع والاستزادة بالقيم الأصيلة والمعانى النبيلة لأسس الحياة الصحيحة، مع التمسك والحرص على الآداب الاجتماعية والتقاليد البيئية.

ـ حفظ القرآن الكريم داخل المسجد يؤدى إلى الاستفادة من النماذج السياسية الحكيمة التى أوردها القرآن، ثم يتعرف على آداب الدنيا والدين، ونظام الكون كله من خلال الحوار الذى دار بين الأنبياء وأقوامهم.

ـ خطبة الجمعة قمة عطاء المسجد للجميع، ومنهم الأطفال؛ لأن بها العظات والعبر، وربط الدين بالدنيا، وتلقين الجميع مبادئ هامة فى حياتنا، منها ما هو سياسى، وثقافى وأخلاقى واجتماعى.

ـ المسجد مكان التقاء الأحباب والأصدقاء للتعاون وتبادل الآراء، وهو نقطة انطلاق نحو المشاورة والشورى الإسلامية،

وهى أساس الديمقراطية الإسلامية الصحيحة، وهى غاية التنشئة السياسية للطفل، خاصة عندما يكون الحوار من أجل النهوض بالبيئة كالتدريب على الحرف اليدوية والمعاونة فى أداء الخدمات الاجتماعية التى تعود على أبناء المنطقة بالرفاهية.

- المسجد بصفته بيت الله فى الأرض، يعلم الطفل الولاء لله والانتماء للوطن الكبير بصدق ووفاء.

- المسجد يعلم الطفل الصدق فى العطاء وعدم البخل والشح، وبالتالى يعطى الطفل صفات سياسية مثل التضحية والبذل والعطاء، وهى قيم سياسية أصيلة؛ لأنها تتسم بالمروءة والإخلاص.

- تعليم الطفل الحرية من خلال الحوار والمناقشة الصريحة مع الإمام، ومن خلال دروس المسجد، ويعطى الطفل حرية الفكر وحرية الرأى وحرية الممارسة، مما ينشئ الطفل تنشئة سياسية صالحة لأن يتعلم هذه القيم مع الأدب وحُسن الخُلق، والانضباط على المعايير العامة.

- يتعلم الطفل من المسجد الاقتداء الحسن، وله أثر سياسى طيب فى نفوس الأطفال.

- مكتبة المسجد تؤدى دورًا بالغ الحيوية فى إكساب الطفل المعارف والمعلومات المختلفة عن الأمة الإسلامية مما يزيد من وعيه السياسى. كذلك المكتبة السمعية والمرئية مما يؤصل قيم قومه وتاريخهم.

ـ يسبق الصلاةَ الطهارةُ والنظافةُ؛ لأنها شرط من شروط صحة الصلاة، وبالتالى يتعلم الطفل منها المعايير السليمة؛ ليكون مواطناً صالحاً نظيفاً مؤمناً، فالمسجد جامعة الحياة وأساس التنشئة الكاملة للطفل، وأساس تنشئته السياسية والاجتماعية التى تتسم بالحفاظ على نظافة البيئة كلها.

لكل هذه الأسباب السابق ذكرها نعلم دور المسجد الرائد الذى يهيئ الجو السعيد للطفولة السعيدة، مع إيجاد مناخ اجتماعى صالح ليكون لأمتنا من أبنائها من تسعد به وتفخر؛ لأن خير الأبناء هم الذين تَرْقَى بهم الأمة، ويسعد بهم الجميع، وطفل اليوم رجل المستقبل الذى تسعد به الأمة.

وبعـــد.. فإذا كانت وسائل الإعلام بكل أجهزتها المختلفة تستطيع أن تؤدى دورًا، فإن المسجد يؤدى أدوارًا للطفولة والشباب والكهولة، يستوى فى ذلك الذكر والأنثى فى كل مراحل الحياة.

والحمد لله، مصر المحروسة يقع فى ربوعها أكثر من خمسين ألف مسجد، علاوة على ما يتم إنشاؤه فى كل يوم فى كافة المدن والقرى، وكلها تؤدى دورها فى التنمية الشاملة لكل مرافق الحياة، وقبل ذلك الإنسان الذى هو الأساس فى التنمية الشاملة فى أى مجتمع.. نسأل الله العلى القدير أن يوفقنا كى ننهض بالمسجد ورسالته ودوره فى خدمة المجتمع.

نمـــوذج
لخطـة عمـــل

يتم اللقاء فى المسجد خمس مرات فى اليوم والليلة للطاعة والعبادة، وتدور الأحاديث الدينية عن الحلال والحرام، والواجب، والحق، والعقيدة، والتاريخ، والتفسير، والسنة، والفقه ومدارسه، والإعلام وما يقدمه، والتحليلات الدينية والزراعية والصناعية والتجارية والطبية، والمدارس الفلسفية؛ لأن عطاءَ المسجد العلمى شاملٌ ومتنوع لكل ما يتعلق بشئون الحياة الاجتماعية والثقافية والعلمية والعملية والسياسية الدولية والمحلية، كذلك المناسبات القومية، والأحداث العالمية.

ومما لا شك فيه أن المسجد هو المكان المُعَدُّ للصلاة، ويؤدى دوره فى الخدمة الاجتماعية والتنمية البشرية، والإمام هو الذى يسهم بفكره وعقله فى أن يقوم المسجد بهذا الدور الرائد وهو يلقى العبء على الإمام؛ لأن الواجب عليه أن يفكر ويبتكر أساليب للعمل الحرفى والذهنى واليدوى لشغل أوقات هؤلاء الناس؛ لأنهم لو تُرِكُوا هكذا فسوف يفكرون فى الشر، حيث من المقرر أن الناس إن لم يشغلهم الحق شغلهم الباطل.

وبداية نضع معًا نقاطًا نرتكز عليها فى سيرنا، وقد يكون هناك فى البيئة المحلية أسلوب أفضل لعمل متميز فيه النفع عما ذكرناه، والنقاط هى:

١ ـ عمل مجموعة بالمسجد تقوم بنشر التوعية لمحو الأمية، مهمتها توعية الجماهير بأهمية هذا المشروع، ولضمان نجاحه يكون هناك تعاون مع إدارة المدرسة؛ لتقوم بفتح أبوابها خلال فترة الصيف.

٢ ـ عمل مجموعة للتوعية بأهمية حلقات فصول التقوية، ويستطيع الإمام أن يستعين بمجموعة من طلبة الجامعة للقيام بهذا المشروع ذى النفع العام. ويتم إخطار الجهة المعنية «المديرية» لإخطار المحافظة، لإمكان مكافأتهم من صندوق الخدمة العامة بالمحافظة.

٣ ـ تحفيظ القرآن وما يجب على الآباء أن يفعلوه تجاه أبنائهم وذويهم لحفظ القرآن الكريم. والمسجد يفتح أبوابه لهذا العمل العظيم.

٤ ـ مجلة الحائط: هذا المشروع يقوم الإمام باختيار مجموعة من الشباب المتميز لعمل مجلة حائط بالمسجد، وتشتمل هذه المجلة ـ كنموذج ـ على آية، وحديث، وحكمة، وطُرْفَة، مع بيان فضل الوضوء وكيفية إسباغه، والنظافة وأثرها، إلى غير ذلك من الأمور العلمية التى يراها الإمام تناسب أهل الحى وتتفق مع فكرهم وثقافتهم.

٥ ـ عمل لجنة من الشباب تكون مهمتها الدعوة إلى زراعة الأشجار والمحافظة عليها، وتنمية القرية بهذا اللون الأخضر؛ ليكون مصدر خير للجميع.

٦ ـ تكوين مجموعة من الشباب تحت اسم رواد عمل الخير . .
تكون هذه المجموعة مهمتها الدعوة إلى توجيه الخير فى أى لون من ألوانه إلى مستحقيه، ويتصل هؤلاء الرواد بالجمعيات الخيرية أو لجان الزكاة للإسهام فى عمل مشاريع إنتاجية فى القرية بقدر ما يتلاءم مع الاحتياجات الفعلية، والغرض من ذلك تحويل الطاقات المعطلة إلى طاقات منتجة، ويتم تبعا لذلك فتح مشغل أو حضانة أو مصنع صغير للجبن، أو شراء بعض أنواع الطيور الداجنة وتربيتها والاستفادة منها . . وهكذا يكون التفكير الذى يتفاعل مع البيئة ويقدم الخدمة للجماهير.

٧ ـ مما لا شك فيه أن الفلاحين يعانون معاناة شديدة تتطلب الترويح عنهم بلون محبب إلى نفوسهم، فتقام أمسيات دينية أو شعرية وزجلية، أو ثقافية، وإبراز المواهب فى أى فن خطابى، وما شاكل ذلك، ويتجمع الأهالى، وكلٌّ يُدْلِى بِدَلْوِهِ، ولجنة التنظيم تقوم بالتوقيت والإشراف.

٨ ـ لجنة المصالحات، وزيارة المرضى: يشكل الإمام مجموعة من كبار السن من ذوى الرأى والعلاقات الاجتماعية، ومعهم الشباب، للصلح بين المتخاصمين، سواء من العائلات أو الأصدقاء، وكذلك زيارة المرضى، ولا مانع من استعانة بعض أفراد اللجنة بنسائهم لزيارة المرضى من السيدات.

كل ذلك وغيره يتم من خلال المسجد، ويقوم الإمام بعمل سجل لكل قسم على حِدَة يدون فيه ما قد حدث، ويحدد فيه الأهداف المستقبلية التى تسهم فى خدمة المجتمع وتنميته، وأهل مكة أدرى بشعابها، فما تحتاج إليه منطقة ربما لا تحتاج إليه الأخرى.

وكل مديرية تختار ما يلائمها ويتفق مع الكيان البيئى والمناخ الاجتماعى بهم بحيث نضمن عملا متكاملا، وخطة شاملة تنبع من المسجد لصالح المجتمع ورفاهيته.

إن الامام يقف على ثغر من ثغور الإسلام، كلما رأى فتورا فيمن حوله نبههم إلى اليقظة التامة وحثهم على المشاركة الوجدانية فى كل شأن يعود بالخير والنفع على المجتمع.

والإمام قدوة ورائد، فعليه أن يعطى نفسه حظها من العلم والمعرفة؛ لأنه ليس من المعقول أن يعرض على الناس فكرة وهم أكثر منه علما بها، وأعرف بشئون الحياة والدين منه. والقراءة التى نرجو أن يكثر الإمام منها تكون فى كتاب الله الذى أوحاه الله إلى نبيه، وقال على لسانه: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾[1]. والقرآن بالنسبة للداعية هو العمود الفقرى الذى ترتكز عليه الدعوة، والحفظ وحده لا يكفى، بل لابد من التجويد ومعرفة مخارج الحروف؛ لذلك نهيب بك ـ بوصفك إمامًا تحب أن يحترمك الناس ـ أن تكون قدوة صالحة لهم،

(١) سورة الأنعام ـ من الآية ١٩.

ورائدًا فى عمل الخير، يجتمع الناس حوله ويستمعون ويأخذون من توجيهاته، وعليك أن تهتم بالقرآن الكريم وأن تقرأ فى تفسيره؛ لتعرف معانى الكلمات، وأن تكون فى حديثك سهلاً غير معقد الألفاظ، ولا تكرر فى الكلمات، ولا تستخدم فى حديثك الألفاظ الركيكة، والعبارات المستهجنة، ثم يأتى بعد ذلك دور السنة النبوية والسيرة... والداعية لن يحتل مكان القيادة والصدارة إلا إذا عكف على السنة والسيرة والتاريخ يستخرج منها المعانى، ويستلهم روح المواقف، ويستنهض الهمم، حسبما كان يفعل النبى ﷺ.

ونريد أن نضع عناوين لأمور يستحب الحديث فيها خلال فصل الصيف؛ لأن الداعية الناجح والإمام الصادق وصاحب الرسالة التى يحملها بأمانة وكفاءة واقتدار ـ هو الذى يواكب الأحداث؛ لأنه كالطبيب الماهر، يشخص الداء ليحدد العلاج، وإذا كان الحق قد قال فى قرآنه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾[1]. فأنت أيها الإمام الصادق فى دعوتك رسولُ رسول الله إلى قومه فى بيئتك، فحدد ما تراه، وكن يقظًا، تَعَرَّفْ على الأحداث التى تجرى فى المنطقة ـ وقس الأخلاق: أين مستواها؟ وكيف تعالج؟ لأنك لو نزلت بدون تشخيص للأمراض الأخلاقية فى ميدان عملك فسوف يحكم الناس عليك حكماً أنت لن ترضاه لنفسك إن كنت صالحا تقيا وعندك ضمير.

---

(١) إبراهيم ـ من الآية: ٤.

عالج المشاكل بأسلوب علمى حكيم، بحيث تقتنع الجماهير، وتواكب الأحداث، وتتلاءم مع الأفكار، وهذه نقاط للاسترشاد بها:

- الوقاية خير من العلاج: فى إمكانك أن تجعل هذا رأس موضوع تتكلم فيه عن:
- الحفاظ على الصحة العامة (الطب الوقائى) كما بينه القرآن.
- النظافة دعوة إيمانية ومظهر حضارى.
- القرآن وتكريم المرأة.
- الشهامة مطلب إسلامى وغاية اجتماعية.
- الإسلام دين نظام وتنظيم.
- المروءة من خُلُق المسلم.
- العقل مصدر التمييز فلنحافظ عليه.
- الزراعة وأثرها فى رقى الأمة، وحديث القرآن عنها.
- النعمة كيف نصونها ونشكر الله عليها.
- الماء وكيف نرشد الاستهلاك فيه.
- المال العام والأمر بالمحافظة عليه واستثماره.
- الأمانة وكيف نتعامل بها مع بعضنا البعض.
- العدل بين الأبناء.

- الوقت وكيف ننظمه ونحافظ عليه.

- الوفاء بالعهد.

- بذل المعروف لمن تَعْرِف ومن لا تعرف.

- رفض الإسلام للسلبية والكسل.

- صلاة الفجر من علامات المؤمنين الصادقين.

- الإسراف ورأى الإسلام فيه.

- التبذير المنهى عنه.

- الكرم والسماحة من صفات المؤمنين.

وغير ذلك من الأمور الكثيرة التى سوف تجد الحاجة تدعوك إلى الحديث عنها، ولا تَنْسَ الدعوة إلى العمل التطوعى، مستشهدًا بحلف الفضول، وإكرام الآباء أحياءً وأمواتًا، والعدل بين الأبناء، وإننا لا نذكر فيك ناسيًا، ولكننا نعمل بتوجيه الله: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

وإذن فمسئوليتك خطيرة، ورسالتك عظيمة، فالتحم بالجمعيات الخيرية ومراكز الشباب، وصل نفسك بأولياء الله الصالحين من الناس الطيبين الذين يعيشون معك فى البيئة، واجمعهم حولك، وسوف يأتى إليك أولادهم وأحفادهم. فكن الامين عليهم وارفق

---

(١) الذاريات. ٥٥.

بهم وكن قدوة صالحة لهم ولا تسمع أذنهم منك الا بكلام الطيب ولا ترى اعينهم منك الا كل جميل فى الفصل والاداء.

زُرْ المَرْضَى وشيِّع المَوتَى، وجامل الناس، ولا تعزل نفسك عن ركب الحياة حتى لا تموت ولا يشعر بك أحد، ولن تبكى عليك الأرض ولا السماء؛ لأنه «ما استحق الحياة مَنْ عاش لنفسه فقط». كن إيجابيًّا فى حياتك، أسهِمْ فى عجلة الإنتاج والتنمية؛ لتحيا بين الناس بأفكارك وتوجيهاتك: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ﴾(١).

وعندئذ سوف تسعد بك الدنيا. كن رجُلَ علمٍ، وقائد جماعة، وشخصية مُصْلِحَةً لَكَ أثرك فى الكيان الاجتماعى الذى تسعد به الإنسانية وترقى به المجتمعات.

الإستعداد النفسى

أيها الداعية، اعلم أن أشرف ميدان للعمل هو ميدان الدعوة إلى الله؛ لأنك تتفاعل مع الكون كله لتعزف على قيثارة الحب الخالد فى الوجود، لتربط العناصر الصالحة للبناء والتعمير فى قافلة البشرية، التى أخبرنا الحق ـ سبحانه ـ أنه استخلفها على الأرض كي تعمر وتنتج كل ما فيه سعادة الإنسان، قال الله تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾(٢).

---

(١) البقرة ـ من الآية: ١١٠ والمزمل ـ من الآية: ٢٠.

(٢) هود ـ من الآية: ٦١.

ولما كان الأمر كذلك، فلقد نهينا عن الفساد فى الأرض، قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾[1].

ويدخل فى إطار هذا عدم إفساد البيئة وتلويث الهواء والماء وإزعاج الناس، وأيضًا التلوث السمعى والعقلى والبصرى، وكل ما من شأنه الإضرار بصحة الناس الجسدية والعقلية والسمعية والبصرية ويحجب المناظر الجمالية، وكل ما يوجد شذوذًا فى تناغم الوجود، وهو يعزف لحن الخلود على قيثارة الكون.

فالكون أبدع الله خَلْقَهُ، ثم قال لك: تَأَمَّلْ فى الكون، وانظر هنا وهناك،وارجع البصر كرتين هل ترى فى خلق الرحمن من تفاوت، بربك يا أخى، وربك شاهد، هل نظرت يوما إلى قرص الشمس لحظة المغيب، ورأيته والحمرة تزحف عليه، وجيش الظلام آت من الشرق يزحف إليه، فتجد السماء وقد أصبحت لوحة جمالية تعجز البشرية كلها أن تصنع مثلها، أى مثل تلك اللوحة الطبيعية الجميلة؟

وهل سألت الشمس: لماذا أصبحت كعين محب يبكى على فراق محبوبه؟ أم أن الشمس تبكى لما شاهدته من كثرة خطايا بنى آدم الذى أسكنه الله فى أرضه وأغدق عليه من خيره، وفضله على كثير ممن خلق تفضيلا، ثم هو لا يستجيب له، ولا يتبع الرسل وإنما يتبع هواه.

---

(١) الأعراف ـ من الآية: ٥٦.

لهذا يجب على الداعية أن يستشعر هذه المعانى فى نفسه، وأن يعلم أنه المسئول عن بيان ذلك للناس، وهو قبل ذلك عليه أن يستعد استعدادا طيبا ويهيئ نفسه لتحمل تلك المسئولية، وأن يستشعر ذلك نفسيًّا؛ ليكون عنده إحساس بأداء الواجب المنوط به، ويؤهل نفسه بما هيأ الله به نبيه ومصطفاه، فإنه لما كلف الله النبى ﷺ بالرسالة فى غار حراء، وذهب إلى زوجته خديجة - رضى الله عنها - مضطرباً، وقال لها: زَمِّلُونى، واضطجع النبى ﷺ - نَزَلَ عليه جبريل عليه السلام، وقال له، ما كُلِّفَ إياه من قِبَلِ الحق: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً ۝٢ نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ۝٤﴾[1].

وقام النبى ﷺ وبَلَّغَ ونَصَحَ، ووعَظَ وجَاهَدَ، وينزل عليه القرآن يقول له: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[2]. وعلى هذا، فإن الداعية صاحب رسالة، يبلغها بالحسنى والكلمة الهادفة المشرقة بأنوار الحق، وهو رباني الهدف، يصل نفسه بالله ويحسن العلاقة بينه وبينه: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلاَّ اللَّهَ﴾[3].

---

(١) المزمل - من الآية: ١ - ٤.

(٢) المائدة - من الآية : ٦٧.

(٣) الأحزاب - من الآية: ٣٩.

والله عندئذ يتولى الداعية ويحرسه: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾(١). وملائكة السماء تؤيد خطاه وترعاه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾(٢). كما أن الحق سبحانه وتعالى يدافع عنهم، ويعلن الحرب على من يعاديهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾(٣). وفى الحديث القدسى: «مَنْ عَادَى لى وليًا فقد آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ».

إن المطلوب من الداعية أن يحسن العلاقة بالله عن طريق الإخلاص في دعوته، وأن يكرم نفسه ولا يهينها، وأن يتخلق بالخُلُق الحَسَنْ، ويتصف بالمروءة، وأن يكون شجاعًا بالحق، متأدبًا بأدب القرآن، لا يجرح الناس، ولا يتعالى عليهم، ويكون كشعاع الشمس الدافئ بعد لحظات برد، الكل يستمتع به ويظن أنه الوحيد فى الوجود الذى منحته أشعة الشمس دفئها.

إن الداعية الواعى يهيئ نفسه ويستعد لملاقاة الجمهور فى كل لحظة؛ لأنه دارس لأحوال المجتمع، متمكن من أصالة فكره، وسمو روحه، وصفاء قلبه ونقاء سريرته، ويهتف بكل مشاعره وأحاسيسه وبكل كيانه: ﴿رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾(٤). يا مَنْ عَلَّمْتَ

---

(١) البقرة ـ من الآية: ٢٥٧.

(٢) فصلت : ٣٠.

(٣)الحج ـ من الآية: ٣٨.

(٤) طه ـ من الآية: ١١٤

حبيبكَ المصطفى، وقلت له: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾[1]. هيئ لى من أمرى رشدا: ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾﴾[2]. يا من علمت عبدك الصالح من لدنك علمًا، علمنى، وألهمنى الرشاد، واجعل الحكمة تجرى على لسانى، فأنا عبدك الضعيف، وأنت الرب القوى العليم الحكيم.

إن الراحمين - يا أخى - يرحمهم الرحمن، وعباد الله لن يتخلى عنهم أبدا؛ لأنه - سبحانه وتعالى - ينصر رسله: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ ﴿٥١﴾﴾[3]. وما عليك إلا أن تنتصر على نفسك، وتلتحم بالجمهور، تحثهم على التنمية الشاملة لكل مرافق المجتمع، وسوف يتحقق لك ذلك، ما دمت مع الله، به تستعين، وعليه تتوكل: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[4].

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾[5].

أيها الداعية: إن الناسَ إن لم يشغلهم الحق شُغلُوا بالباطل، ودعوتك حق، فإن غبت عن الساحة، وظهر أهل الشر والفساد فلا تلومن إلا نفسك، لأننى - كما ألوم أهل الباطل على تحركهم - ألوم أهل الحق على تخاذلهم.

---

(١) النساء - من الآية: ١١٣.

(٢) طه : ٢٧ و ٢٨.

(٣) غافر: ٥١.

(٤) العنكبوت - من الآية: ٦٩.

(٥) النحل: ١٢٨.

فهيا يا رجال الله، قبل فوات الأوان، وجِّهُوا دعوتكم بالحق، وحَصِّنُوهَا بالعلم والثقافة والمعرفة، ﴿وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾(١). واعلموا أن قائدكم المصطفى ﷺ قال: «شَيَّبَتْنِي هُودٌ» يعني قول الله: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾(٢). فإذا كان النبي الأمين قد شاب شعره من هذا الأمر الإلهي، فهل آن الأوان - يا أخي - أن تقوم بالواجب عليك وعلينا جميعًا، بأن ندعو إلى الله على بصيرة، وبالحسنى والحكمة، وأن نكون أوفياء لديننا؛ لأن الله لا يسوى بين العلماء العاملين والعلماء الكسالى أبدا: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾(٣).

فهيئ نفسك - أيها الداعية - لتكون من جند الله الغالبين المنتصرين بالحق، والداعين إلى الحق، والمتمسكين بالحق، وردد: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾(٤).

والله يأخذ بيدك إلى الخير والرشاد.

---

(١) هود - من الآية: ١١٣

(٢) هود - من الآية: ١١٢

(٣) فصلت: ٣٣ وصدر ٣٤.

(٤) يوسف - من الآية: ١٠٨.

الخاتمة

إذا كانت الإنسانية فى حاجة إلى نور الفجر يبين لها طريقها بعد أن لفها الظلام وحجبها عن سعيها، وإذا كانت فى حاجة إلى نور الحق كلما عمها ظلام المادة فابتعدت عن الحق وزين لها الشيطان سوء عملها، وإذا كانت فى حاجة إلى العدل ليرعى حقوقها ويصون كرامتها إذا انتشر الظلم وعم الفساد ـ فهى دائما فى حاجة إلى الداعية الذى يبشر بالخير، ويحث الناس على التمسك بالقيم الأخلاقية، والنهوض إلى العمل البناء لصالح الإنسانية، ويؤسس ذلك على العدل.

والداعية المسلم يريد الخير لكل البشر، ويسعى لإسعاد الجميع، لا يتعصب لجنس، ولا ينحاز إلى جماعة، ولا يميل إلى حزب؛ لأنه روح تسرى فى جسد الأمة فتحييه بالحق، ونور يبدد ظلمات الجهل، ويهدى الحيارى سواء السبيل، ويدعو إلى الأمن الذى يطرد الخوف من نفوس الناس ويبشر بالسلام؛ لأن الإنسانية فى حاجة ماسة إلى الأمن؛ ليتمكنوا من تحصيل رزق الله المادى لإطعام أبدانهم، وغذاء أجسامهم لتقوى على السير للعمل على ما يرفع شأنهم، ويُعْلى قدرهم ويهيئ للأمة أسباب الكرامة الإنسانية فى دنيا الناس، وإذا كانت البشرية فى حاجة ملحة إلى من يثقف عقلها، ويلين قلبها وينير بصيرتها، ويوضح لها معالم الخير والحق والعدل والجمال ـ فليس هناك إلا الداعية.

وإذا كانت الأمة لا تستغنى عن الطبيب ليعالج أمراضها، ويصف الدواء لعللها. . وإذا كانت الأمة لا تستغنى بحال من الأحوال عن الجندى ليحرس حدودها ويُؤَمِّنَ حياتها، فهى مع كل ذلك لا تستغنى عن الصانع والتاجر والزارع، وهى فى أشد الحاجة إلى العلماء الذين يطببون أرواح الأفراد ويبشرون بالأمل، ويبينون الحلال من الحرام، ويبعدون القلق عن قلب كل إنسان، حتى لا يحدث انفصام فى شخصيته، لذلك فإن الدعاة فى جسم الأمة هم العقل الفاهم، والعين المبصرة، والسمع لنبض الأمة، بل هم القلب النابض بالحياة؛ لأنهم يحملون أمانة الكلمة ومسئولية التوجيه عن الهدى الإلهى، والإرشاد المحمدى، وسيرة القدوة الصالحة من رموز هذه الأمة الذين أدواراً رائدة فى الحياة.

إن الداعية يدعو لحفظ إنسانية الإنسان وإبراز خصائصه ورعاية حقوقه، ويجعل الحياة ندية بيقظة الضمير وخشية الخالق وحب الناس، وهذا هو مفتاح السعادة والاستقرار الذى تكون به الحياة فى أمن وأمان. إن الدول المتقدمة الغنية تعيش فى رعب من قلق على ما يحيط بها؛ لذلك فهى تحاول أن تُغْرِقَ أبناءَهَا فى الترف المادى، والبطش بالآخرين عن طريق سباق التسلح، وتصدير الرعب إلى الآخرين. وفى الدول النامية قلق كذلك، لما تعانيه من حرمان، وما تحمله من أعباء، فالشخص يرى قلقا هناك من التقدم العلمى المؤسس بعيدًا عن العقل والدين، وقلقًا هنا بسبب الخوف من استخدام التقدم العلمى الذى أصبح سوط عذاب فى يد القوى فى مواجهة الضعيف بلا رحمة أو إحساس. والعنصر

المفقود بين الطرفين هو الإيمان بالله الذى يجعل العلم والمال والإنتاج لخير الإنسانية، والإنسانية تسعد بذلك كما تسعد بشعاع الشمس وضياء القمر وجريان الماء وجمال الزهور وتغريد الطيور، ومع الإيمان بالله إيمان بالأخوة الإنسانية، إيمان بالحرية والعدل والسلام، إيمان دعا إليه كل نبى ورسول، وهتف به الصالحون، واستشهد فى سبيله الأبرار والأتقياء، ويحمل لواءه الدُّعاة فى كل زمان ومكان، ولا ينكر دورهم القيادى أحد؛ لأن رسالتهم هى بناء الإنسان أخلاقيًّا، والإسهام بقدر الطاقة فى العمل الاجتماعى لراحة كل إنسان وإسعاده بتبادل المنافع فى جو يسوده الحب والإخاء. لذلك:

١ - يجب على الأمة أن توفر للدعاة سبل الراحة بتوفير السكن المناسب لهم بالقرب من مكان العمل، لاستثمار أوقاتهم، حتى يتمكنوا من أداء الواجب المنوط بهم من مشاركة الجماهير فى أفراحهم وأتراحهم، والتدخل بينهم لحل المشاكل، مع الإسهام فى إعطاء الدروس فى المساجد والمناسبات الاجتماعية.

٢ - عمل كادر مالى لمن أمضى فى عمله خمس سنوات، وثبتت صلاحيته وقدرته على العطاء؛ لأنه كرجال الإعلام أو القضاء، حيث يرتبط بالمسجد من صلاة الفجر إلى ما بعد صلاة العشاء، ويتخلل ذلك أداء الواجبات والمشاركة فى العمل البيئى والاجتماعى، والرد على جميع الاستفسارات فى الجانب الدينى والاجتماعى، والإسهام

فى محو الأمية والترابط الأسرى، وهذا جزء من عمل الإمام، علاوة على لجان المصالحات التى يشارك فيها بالرأى والحضور.

٣ ـ فتح باب الابتعاث الخارجى أمامهم أسوة بزملائهم فى الأداء.

٤ ـ تشكيل نقابة عامة يكون لها الكيان المعنوى.

٥ ـ إصدار مجلة باسم المساجد؛ ليتمكنوا من التعبير عن آرائهم فيها، ولتكون همزة وصل وربط بين الأئمة.

٦ ـ تعيين عناصر من الأئمة ذات كفاءة وقدرة فى العطاء المتميز فى المجالس المحلية والجمعيات الزراعية والمجلس التنفيذى؛ ليستطيعوا نقل صوت الجماهير من خلال اجتماعاتهم معهم فى المسجد، وإيجاد ربط تلك الجهات والمسجد والجمهور.

٧ ـ تيسيراً على الإمام تُنْشَأ غرفة عمليات بالوزارة لتجميع المعلومات عن:

(أ) الإحصائيات السكانية. (ب) التطور الصناعى.

(ج) التقدم الميكنى الزراعى. (د) البث الإذاعى.

وتحليل ما يجرى على الساحة الدولية من صراعات وأفكار واتجاهات، وتقديمه إلى الأئمة فى كتيبات؛ ليستطيعوا مواكبة الأحداث، وعدم البعد فى خطبهم عن الواقع الاجتماعى.

إن الإمام صاحب رسالة، كما أنه طاقة يؤدى عمله بقوة واقتدار، يوم يطمئن على مستقبله، ويعلم أن الترقى إلى الوظائف القيادية مفتوح أمامه، ولن يأتى شخص من غير حقله يقفل أمامه الباب، ويغلق عليه الطريق، فلا يستطيع الترقية؛ لأن ذلك إن حدث فإنه يُصاب بإحباط، ويعجز عن العطاء فى عمله، ويُصاب بخيبة أمل؛ لأنه يعلم أنه سيظل فى محله لا يتقدم، وفى مكانه لا يترقى، لذلك فهو لا يستطيع التوصل إلى حلول مشاكل البيئة، ولا ربط الحاضر بالماضى، ولا حث الناس على التطلع إلى المستقبل، ويعيش وكأنه فى مجتمع آخر؛ لأنه كما يقال: «العين بصيرة واليد قصيرة» فيوصف هو ومن على شاكلته بالجمود وعدم القدرة على مسايرة الأحداث، وسبب ذلك ما أصابهم من ظلم فى الماضى.

والدعاة إلى الله يعيشون الواقع، ولا يطلبون المستحيل، ولا يلبسون نظارة سوداء، وإنما هم لسان صدق وكلمة حق، ويعملون فى صمت، وحسابهم على الله الذى لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء. إنهم - وهم يعيشون الواقع - يرون أوسمة العمل الاجتماعى تُوَزَّعُ على غيرهم، برغم ما بذلوه من جهد، ولا ينالهم منها نصيب، والعيب ليس فيهم ولا منهم، وإنما ناتج عن خلل بعيد عن ساحتهم أُلحِقَ بهم، ونُسِبَ إليهم وهم منه براء.

لذلك فهم يطالبون بالآتى:

١ - منحهم حصانة، أسوة برجال القضاء بعد العمل فى ميدان الدعوة عشر سنوات؛ ليتمكنوا خلال تلك الفترة من صقل نفوسهم، مع منحهم الضبطية القضائية؛ ليتمكنوا

من خلالها تأديب المارقين عن الدين، المجاهرين بالمعاصى والعمل الفاحش فى الطريق العام، والذين يسبون الدين علنًا وجهارًا بلا حياء أو خجل.

٢ ـ أن يُقْصَرَ عليهم زِيُّهُمْ المتعارف عليه؛ أسوة بزى رجال الشرطة والجيش، بحيث لا يرتديه إلاَّ مَنْ يتخرج من جامعة الأزهر؛ لأن اختلاط لابِس الزى جعل الناس لا يميزون بين العالم وغيره، مع منح من يرتدى هذا الزى تيسيراً فى وسائل المواصلات، بحيث يحمل «اشتراكًا» بنصف القيمة؛ احترامًا لهذا الزى، كذلك ظهورهم فى وسائل الإعلام بزيهم يجب أن يكون فى مواقف كريمة ومناظر مهذبة.

إن الرعاية الاجتماعية للدعاة تتطلب منا أن نعرف طبيعة الزمن الذى نعيش فيه؛ لأننا كلما هيأنا المناخ الطيب والرعاية الاجتماعية لهم استطاعوا أن يبذلوا الجهد، وأن يعكفوا على متابعة كل جديد، وأن يشمروا عن سواعدهم لصد أى فكر وافد غير ملائم لمناخ مجتمعنا وطبيعة بيئتنا لرفع الكفاية الإنتاجية، ودعم الأخلاق الفاضلة وصيانة المجتمع من أى هزة تؤثر فيه وتعصف به، ومن هنا قال الشاعر العربى:

قُمْ للمُعَلِّم وَفِّهِ التَّبْجِيلاَ
كَادَ المُعَلِّمُ أَنْ يكُونَ رَسُولاَ

أرَأيْتَ أشْرَفَ أوْ أجَلَّ مِنِ الَّذى
يَبْنِى ويُنْشِىء أنْفُسًا وَعُقُولاَ

ويقول الآخر:

يَاخَادِمَ الْجِسْمِ كَمْ تَسْعَى لِخِدْمَتِهِ

أَتَطْلُبُ الرِّبْحَ مِمَّا فِيهِ خُسْرَانُ؟

أَقْبِلْ عَلَى النَّفْسِ واسْتَكْمِلْ فَضَائِلَهَا

فأَنْتَ بالنَفْسِ لا بالجِسْمِ إنْسَانُ

إنه من المعلوم أن بناء النفوس صعب؛ لأنه يتطلب تغيير عادات وأمور ألفها الإنسان، وتأصيل قيم عالية وأخلاق كريمة فى نفوس المستمعين، من هنا كان عمل الدعاة إلى الله من الأعمال العظيمة فى المجتمع الفاضل، الذى نأمل أن يتحقق؛ لِيَعُمّ الخير المجتمع الإنسانى بأسره، على أيدى دعاتنا الذين نؤسسهم على مبادئ وقواعد من العلم والراحة النفسية، وتهيئة المناخ الملائم؛ كى ينطلقوا بدعوتهم إلى الآفاق مبشرين بعفو الله ورحمته، داعين إلى وحدة الصف، وطهارة القلب، وإتقان العمل، وأداء الواجب، والإحسان إلى الغير، والالتحام بالمجتمع فى مودة وتعاطف وسلام، ويومئذ يعم الخير الإنسانية كلها. وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾[1].

وقوله سبحانه: ﴿وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا﴾[2]. نسأل الله ان يتقبل عملنا ويوفقنا لكل خير انه الهادى الى الصراط المستقيم.

---

(١) الأعراف ـ من الآية: ٩٦.

(٢) الجن: ١٦.

الفهرس

الموضوع	الصفحة











هذا الكتاب

أَقْدَمَت مكتبة الدار العربية للكتاب على نشر هذا الكتاب القيم، إيمانًا منها بأن «الدعاة» أصحاب رسالة.. ودُعاة الإسلام اليوم فى أَمَسِّ الحاجة إلى فَهْم قضايا بلادهم وأوطانهم الفهم الصحيح الذى يقوم على مراعاة الجوانب الاجتماعية والنفسية، وسائر الجوانب التى لها تأثير فى عقول ونفوس المدعوين، والتى تجذب وجدانهم وعواطفهم نحو الخير والصلاح فى سبيل تنمية مجتمعاتهم.

إن هذا الكتاب يوضح كثيرًا من الجوانب التى يجب أن يعرفها ويدرسها الداعية الإسلامى، ليكون مُلمًا بالمنهج الصحيح الذى يحقق هدفه، ويحقق للأُمَّة العربية والإسلامية ما تصبو إليه من رِفْعَة وتقدم فى هذا العالم الذى يموج بالاتجاهات الفكرية المتعددة، والذى يزخر بالتناقض والاضطراب.

الناشر



مكتبة الدار العربية للكتاب
٢٤ شارع الدكتور حسن إبراهيم متفرع من مكرم عبيد
تليفون وفاكس : ٢٧٤١٧٢٦ - ص.ب ٧٥٨٤ الحي الثامن - مدينة نصر - القاهرة
تصميم الغلاف : محمد طنطاوى